المقتبس

الجزء الاول من المجلد الثاني

محرم سنة ١٣٢٥ الموافق فبراير (شباط) سنة ١٩٠٧

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمدك اللهم على ما أقبستنا من قبس العلم بنور العقل السليم . فكان أفضل ما صدر عن كرمك الجزيل وفضلك العميم . ونستهديك لساناً لا يحاول له الا النطق بما يعتقد صحته بعيداً عن التزلف والتقية . وبيانة مؤيداً بأيدك ليجد سبيل القبول من قلوب البرية . اللهم وفقنا الى معالجة سم الجهل الناقع . بترياق التعليم النافع والادب الرافع . وحبب الينا التواصي بالحق والانصاف . وجنبنا مضالّ الاعتساف ومزالّ الخلاف . وأشرب أفئدتنا حب الاقرار بحسنات العدو قبل الصديق . واصرفنا عن مزالق التدليس ومغامز التلفيق . وافتح مُغلق عقولنا برحمتك لنهتدي بما اهتدى به البشر الناهض بفضل البحث والتنقيب من نور علومه . واشدد عزائمنا لقرن العلم بالعمل فتمتزج روحه باجزاء نفوسنا ونتنفع بحديثه وقديمه . ربِّ نسألك ان تطبع هذه الامة بطابع التسامح المقبول . وتبغض اليها التعصب المنبوذ المرذول . لتقبل الحكمة من أي وعاء خرجت . ومن أي جو تنفست . وعن أي لسان انبعثت . ولا تكلنا الى انفسنا لئلا نضل ونشق .

وبعد فقد قضى المقتبس عامه الاول وهو اليوم في فاتحة عامه الثاني يدبّ ويدرج. حرَص — ولا يزال يحرص — على الانتفاع بنصح العقلاء. ونقد الجهابذة الفضلاء. وإرشاد المنزهين عن الاهواء. بما يؤهله الى السير على سنة النمو والارتقاء. ولكل عمل عمره الطبيعي لا مندوحة من قضائه. والنتائج أبداً بالمقدمات مقرونة. واذا جاز الفخر فيحق لهذه الصحيفة ان تفاخر بأنها قامت بمؤازرة العالمين والمفكرين. لا بمعونة الكبراء والموسرين. ولذلك فُرض عليها ان تشكر أيادي المتوفرين على إمدادها من معين دروسهم وأبحاثهم أضعاف أضعاف ما تشكر لغيرهم.

وستظل ابحاثها على ما كانت عليه مع إشباع الكلام اكثر من ذي قبل في معظم ما تخوض عبابه من الموضوعات وتنشر في كل جزء رواية او قصة او افكوهة تروّح عن النفس بعد تلاوة العلميات والادبيات وذلك عملاً بما اقتضاه منا جمهور من القراء. فنلتزم كل مرة فتح باب «نفاضة الجراب» وكنا نودّ لن لا نعود اليه مؤتمرين بأمر بعض الاكابر لولا أن ثبت لنا بالاختبار ان الجدّ البحت لا يروج بين ابناء الغرب وهم في تهذيبهم واستنارتهم ما هم فما بالك في هذا الشرق وهو ما هو.

ومما وضعته هذه المجلة موضع العمل بعد الآن ان لا تعطي من عندها القاباً علمية وان تقتصر على الالقاب الرسمية فتورد اسم المعاصر كما تذكر العالم الغابر وتدعو الشرقيّ باسمه كما تدعو الغربيّ وفي ذلك تخفيف على القراء واقتداء بالقدماء من اسلافنا الاقدمين وحملة لواء العلم والحضارة من الغربيين المحدثين والله وليّ الهداية

صدور المشارقة والمغاربة

قطب الدين الشيرازي[١]

هو القاضي قطب الدين محمود بن مسعود الشيرازي كان اماماً مبرزاً في عدة علوم مثل العلم الرياضي والمنطق وفنون الحكمة والطب والأصول وله عدة مصنفات وفضائله مشهورة . كان مولده بمدينة شيراز في صفر سنة أربع وثلاثين وستمائة وتوفي بتبريز سنة عشر وسبعمائة فتكون مدة عمره ستاً وسبعين سنة وسبعة أشهر ملخصاً عن تاريخ ابي الفدا وقال ابن الوردي انهُ توفي وهو في عشر الثمانين وكان غزير العلم واسع الصدر حسن الاخلاق وجيهاً عند التتر وغيرهم ثم قال في رثائهِ

لقد عدم الاسلام حبراً مبرزاً كريم السجايا فيهِ مع بعده قرب
عجبت وقد دارت رحا العلم بعده وهل للرحا دور وقد عدم القطب

وقال الشيخ طاهر الجزائري في كُنَّاشهِ[٢] وقفت على كتاب في تراجم أناس من المشهورين جمع الامام العلامة نجم الدين أبي الخير سعيد بن عبد الله الدهلي البغدادي وفيهِ ترجمة القطب الشيرازي وهي ناقصة في النسخة فاثبتها على ما وجدتها اعتناء بهذا العلامة الأوحد : ومنها كتاب أقليدس[٣] وهو باللغة الفارسية أيضاً صنفهُ باسم البرواناه وزير الروم

(١) ملخصة عن رسالة استنسخها شكري افندي العسلي من رسالة كتبت بخط سليم افندي البخاري من علماء دمشق (٢) الكناشة أوراق تجعل كالدفتر تقيد فيها الفوائد والشوارد

(٣) من كتب المترجم به ما ذكره الشيخ طاهر الجزائري في كناشه ايضاً مشكلات التفاسير توجد نسخة منه في مكتبة يكي جامع بالاستانة والانتصاف شرح الكشاف في مكتبة راغب باشا وتفسير القطب في مكتبة أسعد افندي وشرح مختصر ابن حاجب في مكتبة الكوبرلي وشرح حكمة الاشراق في مكتبة اللالهلي وشرح النجاة في مكتبة الراغب والتحفة الشاهانية في الفلك ونهاية الادراك في علم الافلاك في مكتبة يكي جامع وفي المكتبة الخديوية شرح للقوشجي على التحفة الشاهانية وشرح القسم الثالث من مفتاح العلوم في المعاني والبيان وله كتاب في الهيئة ويقال ان من مؤلفاته حل مشكلات المجسطي وله كتاب حكمة الاشراق طبع بالهند ومن مؤلفاته « فتح المنان تفسير القرآن » في نحو ثلاثين مجلداً يوجد في مكاتب الاستانة وله كتاب تاج العلوم محفوظ في خزائن كتب الاستانة وغيرها من المصنفات التي ذكر اكثرها صاحب كشف الظنون

ومن جليل مصنفاته شرح كليات القانون في الطب لابن سينا وهذا الشرح لم تسمح قريحة بمثله لأنهُ يشتمل على خلاصة الشروح المصنفة لهذا الكتاب وهي عشرة شروح اجتمعت عنده مع تنقيحات لطيفة وزيادات غريبة من نتائج خاطره الغزيرة من كتب عزيزة الوجود قد لا يوجد مثلها الا في خزائن الملوك وسماه التحفة السعدية يعني باسم الوزير سعد الدين محمد الساوجي وزير الملك غازان و بعده أخيه (كذا) خر بنده واتفق ان هذا الكتاب تم شرحهُ وسيره الى الوزير المذكور وفي اثناء هذه الحال توفي الشيخ قطب الدين ووقع الترسيم والتوكيل على الوزير المذكور وطولب بالاموال وذلك في أذر بيجان سنة عشر وسبعمائة وقصد خر بنده العراق والوزير صحبته لتحصيل المطلوب منهُ الى ان قتله ليلة السبت حادي عشر شوال سنة احدى عشرة بمحول قريب بغداد ومع ما كان فيهِ هذا الوزير من المضايقة رسم لقطب الدين جائزة هذا الشرح مبلغ ستة آلاف دينار رائج عنها من الدراهم ستة وثلاثون الف درهم وراجعوا الوزير سعد الدين في ذلك وعرفوه بوفاة الشيخ قطب الدين فقال الوزير انا لا أعود في نهبتي وخصوصاً لمثله وفي مثل كتابهِ فأحضر جميع المال المذكور وجمع له أرباب الديون فقضى عنهُ ما كان عليهِ من الديون القديمة والحديثة التي كانت قد اجتمعت عليه مدة المرض وكان قد بقي مريضاً احد وخمسين يوماً وكان معظم نفقتهِ في هذه العلة الصدقة على الفقراء وعلى طلبة العلم و بقيت من المال بقية وزعت على أولاده وخاصته وكان هذا الوزير قد أنعم بهذه الجائزة وهو يومئذ تحت التوكيل وهو مطالب بألف كومار من المال منها عشرة آلاف دينار روائج فانظر الى علو همة هذا الرجل وسعة نفسه وصدق اعتقاده . . .

وكان له مع المشايخ الصالحين والصوفية المحققين اتصال حقيقي ونفس روحاني يرتاح اليهم في أوقات خلواتهِ وصفاء مشرو باتهِ قال : وقد لازمت ذراه المحروس ثماني عشرة سنة فشاهدت معظم سيرته تشتمل على الاخلاق الشريفة والفضائل الكاملة مع السخاء المفرط . كان لا يبقي على شيء مما يحصل بيده لا في سفر ولا في حضر وكان أكثر

عطائه للفقراء وطلبة العلم وذوي البيوت القديمة وذوي الحاجات قال ولقد حضر عنده في بعض الأيام مائتا دينار فبلغهُ ان صفيّ الدين عبد المؤمن بن فاخر صاحب الموسيقاه قد قدم من بغداد لضرورة ديون عليهِ قد غلبتهُ فقال هذا من بيت له خدمة قديمة للخليفة العباسي فبعث اليهِ بالمبلغ المذكور واعتذر اليهِ انهُ لم يكن عنده في هذا الوقت غير هذا المقدار . قال : وكان يقول في مرض موتهِ ليست فائدة المهلة في حياتي الا لاعطي الفقراء شيئاً فكان مصمماً على العطاء والاحسان وفعل الخير الى ان صار الى أحسن مصير. قال وكان في أسفاره يصحبهُ من التلاميذ جماعات وخصوصاً في أيام توجيهِ الى خراسان والروم فلقد اجتمع معهُ في سفره الى الروم نحو الاربعين طالباً وغالبهم أرباب فضائل وعلوم راسخة وكان يخدمهم بالمال والنفس والعلم وكانوا مع هذا يتخصونهُ وما يفعله معهم من الخدمة والخير ويقولون هذا الرجل متطفل علينا لأن الناس انما يخدمونهُ ويعطونهُ الأموال لأجلنا ونحن الذين نشيد كلمتهُ ونظهر فضيلتهُ ونجمله بين الناس . قال وكان يبلغهُ هذا وامثاله عنهم فلا يغضب ولا يلتفت الى قول القائل اليهِ ذلك ويقول: انا أريض اخلاقي بالصفح عن زلات اخواني اليّ

وقال الاربلي: واخبرني الشيخ ضياء الدين الطوسي قال : اجتمعت بقطب الدين الشيرازي بقزوين وهو يقرأ الفقه على الشيخ علاء الدين الطاووسي صاحب التعليقة قال فسألته عن بعض احواله فحكى لي اشتغاله بالطب وانه ترك معالجة الناس وخرج من شيراز وقصد بلاد خراسان وانه توفر مدة سنين على تحصيل علم المعقولات من علم الكلام قال وقال لي ما وجدت نفسي في عمري متوفراً على طلب العلم لم اشتغل بسوى (كذا) هاتين السنتين هما كانتا خير تحصيل حصلت فيهما من العلوم النظرية ما احياني لكني غير عالم بالفقه فقصدت الشيخ علاء الدين الطاووسي لا قرأ عليه الفقه فقرأت عليه الحاوي الصغير وكتاب الوجيز وكانت للشيخ علاء الدين نسخة من الوجيز محشاة بالفوائد اللطيفة من الفقه فسرقها وهرب من قزوين قال: وهكذا كانت عادته اذا اعجبه

كتاب يتحيل حتى يسرقه وكان مشتهراً بين طلبة العلم في مبادئ احواله بهذا الوصف قال وطلب علاء الدين نسخته فلم يجدها فقالوا لم يكن عندك غير محمود الشيرازي فقال ليس هو آخذها وقال لي مهذب الدين الشيرازي احد تلاميذ قطب الدين ان قطب الدين كان يلقي الدروس من هذه النسخة بمدينة سيواس ويقول هذه النسخة سرقتها من شيخي علاء الدين الطاووسي بقزوين في مبدأ تحصيل العلم وكنت عاجزاً عن مشترى الكتب

ولما عمر ملك خوارزم تلك مارستاناً انفذ الشيخ قطب الدين اليه رسم هذا المارستان كتباً طبية قيمتها بالتقريب اربعة آلاف درهم فاجازه بجائزة تشتمل على رقيق قماش وقد قيمة الجميع ستة وثلاثون الف درهم . وصنف كتاباً باسم الملك عز الدين ملك شيراز في علم الاخلاق والحكمة فاجازه ببغلة سنية وآلاتها ومعها ثلثمائة مثقال ذهباً وتخت قماش ذكر هذا وما قبله الاربلي قال: وكنت بماردين فسير لصاحبها الملك المظفر هدية تشتمل على مملوك صغير تركي وآخر رومي وتخت قماش منوع من الحرير وسجادة وكتاب صغير من تصانيفه فرد الملك المظفر الجميع وقبل السجادة والكتاب واجازه عليهما باثني عشر الف درهم وقال : هذا القدر هو الذي ينبغي ان يقبل من العلماء اما كتاب من فوائدهم واما خرقة من بركاتهم . ولم يحمل (؟) الا في دولة غازان فانهُ كان بينه وبين رشيد الدولة كراهية في النفوس بين الشخصين لأن قطب الدين كان يتنقص كثيراً برشيد الدولة وبتصانيفه ويستجهله ويحط عليه

وقد صنف تصانيف في تفسير الكتاب العزيز وفي غيره وكان قطب الدين يظهر نقصها ويكشف عن عورتها قلت :ولقد حدثني بعض شيوخنا عن قطب الدين انه لما بلغه ان الرشيد قد شرح القرآن العظيم قال لاصحابه ايه هاتوا التوراة حتى اشرحها قال الاربلي وتمكن رشيد الدولة من دولة غازان فاشاع انه يريد ان يقتل قطب الدين ثم ظهر انه قتله بقطع رزقه الذي كان مقرراً على الدولة ومبلغهُ ثلاثون الف درهم فقال

لغازان هذا رجل فقيه « ايش » يعمل بهذا المال كله هذا تضييع هذا يكفيه اثنا عشر الف درهم وكان غازان بخيلا فاصغى الى قول رشيد الدولة وقطع سائر ما كان لقطب الدين من المبلغ المذكور وبعد مدة طويلة سعى فيه حتى اطلق له في كل سنة اثناعشر الف درهم قال : وكان قطب الدين قد بيت مع رشيد الدولة وعجز عن تلافي ما افسد وعجز عن رضاه قال لكن كان قطب الدين سعيداً في عقله وعمره وتصانينه واصحابه فما اثر ذلك عنده شيئاً لكنه كان خائفاً لأن يسعى رشيد الدولة في قتله فآمنه الله تعالى منه قال الاربلي واخبرني التاجر الشفار قال ولما تطاولت علة الشيخ قطب الدين الشيرازي واحس بالموت طلب اليه الصدر زين الدين علي بن فخر الدين بن عبد السلام الطبي وقال له ياخواجه زين الدين اريد من انعامك ان تتولى امر تجهيزي ودفني فاني مارأيت ان اضع هذه المكرمة الاعندك لاني شاهدت رغبتك في فعل الخيرات والمبرات فاجاب زين الدين بالسمع والطاعة قال ولما توفي قطب الدين انفق زين الدين على جنازته وتجهيزه ودفنه وايام العزاء سبعة آلاف درهم ومائتي درهم ومن ذلك انه اشترى سبعة آلاف ذراع قماش قطن ابيض وفصلها قمصاناً وعمائم للأيتام والارامل والبسها سبعمائة انسان من الفقراء والتلاميذ اللائذين بقطب الدين وطائفة من الايتام والارامل فكانوا بين يدي الجنازة يبكون ويندبون وجلس مدة ايام العزاء للناس والتزم اطعامهم ومهامهم وما هو من كلف العزاء لمثل هذا الميت . قال الصدر شمس الدين : وما رأيت احداً من الرؤساء اطول من نفس قطب الدين الشيرازي في الشفاعات لذوي الحاجات وذوي السلطان كان اذا جلس الى امير او وزير او قاض يخرج اوراقاً من جيبه نحو عشرين أو ثلاثين قطعة ويشفع في الجميع وكان غالبها يقضى وما يرد الا القليل وكان كثيراً ما يشاهد من الأمرآء والأكابر مللاً من كثرة شفاعاته فلا يلتفت الى ذلك الملل ولا يترك تردده اليهم ويقول ولأي شيء خُلقوا وخُلقنا وما نفعنا بالجاه اذا لم نقض حاجات الناس اذا تركنا هؤلاء وسجاياهم لا يقضون حاجة المسكين أو عاجز

محروم فنحن نسوقهم الى فعل الخير قهراً وتحيلاً عليهم حتى يؤجروا ونؤجر نحن معهم ونقضي حوائج الناس الملهوفين العاجزين كان هذا دأبهُ يفعل غالب أوقاتهِ الخير بجاههِ وماله وعلمهِ رحمهُ الله

تسامح العظماء

يظن من لا عهد له بدرس مشاهير رجال الاسلام انهم كانوا جبابرة لا يحسنون غير البطش والكر والفرّ على ان الباحث في سيرهم يراهم من أشد الأمم حرصاً على على مافيهِ قوام عمرانهم ولم يكن في قلوبهم غالباً شيء مما يقال له تعصب أو تحزب بل ساسوا رعاياهم سياسة العدل لم يحابوا ولم يداجوا فقدروا الكفاءآت قدرها ولم يعتبروا في مصالحهم الا أهل الغناء والعلم . وربما لا يصدق الاغمار في هذه الاعصار لو قلنا لهم[1] ان معاوية بن أبي سفيان اصطفى لنفسهِ ابن أثال النصراني من أطباء دمشق وأحسن اليهِ وكان كثير الافتقاد له والاعتقاد فيهِ . وصحب تياذوق الطبيب الحجاج بن يوسف الثقفي المتولي من جهة عبد الملك بن مروان وخدمهُ بصناعة الطب وكان يعتمد عليهِ ويثق بمداواتهِ وكان له منهُ الجامكية الوافرة والافتقاد الكثير

وخدم جورجس بن جبرائيل الخليفة المنصور وكان عظيماً عنده رفيع المنزلة ونال من جهتهِ أموالاً جزيلة والمنصور هو الذي يقال له الدوانيقي لبخله . وخدم بختيشوع بن جورجس هرون الرشيد وتميز في أيامهِ وكان رئيس الاطباء كلهم في بغداد . وكان جبرائيل بن بختيشوع بن جورجس حظياً عند الخلفاء رفيع المنزلة عندهم كثيري الاحسان اليهِ وحصل من جهتهم من الاموال مالم يحصله غيره من الاطباء وكان مكيناً عند جعفر بن يحيى بن

(١) اتخذت طبقات الاطباء مرجعاً في كتابة هذه الرسالة والغالب اني أنقل المقصود من عبارة المؤلف بالحرف الواحد

خالد بن برمك أحبهُ مثل نفسهِ وكان لايصبر عنهُ ساعة ومعه يأكل ويشرب أعطاه الرشيد مرة من أجل مداواة احدى خطاياه خمسمائة الف درهم وأحبه مثل نفسهِ وجعله رئيساً على جميع الاطباء . وأمر له المأمون مرةً بألف الف درهم و بألف كر حنطة وردّ عليهِ سائر ما كان قبض منه من الاملاك والضياع وصار اذا خاطبه كناه بأبي عيسى جبرائيل واكرمهُ زيادة على ما كان أبوه يكرمه وانتهى به الأمر في الجلالة الى ان كان كل من تقلد عملاً لايخرج الى عمله الا بعد ان يلقى جبرائيل ويكرمه وكان عند المأمون مثل أبيهِ .

ووجد في خزانة بختيشوع بن جبرائيل مدرج فيهِ عمل بخط كاتب جبرائيل بن بختيشوع الكبير واصطلاحات بخط جبرائيل لما صار اليهِ في أيام خدمتهِ الرشيد وهي ثلاث وعشرون سنة يذكر ان رزقهُ كان من رسم العامة في كل شهر من الورق عشرة آلاف درهم يكون في السنة مائة وعشرون الف درهم في مدة ثلاث وعشرين سنة الفا الف وستمائة وستون الفاً ونزله في الشهر خمسة آلاف درهم يكون في السنة ستون الف درهم في مدة ثلاث وعشرين سنة الف الف وثلثمائة وثمانون الف درهم ومن رسم الخاصة في المحرم من كل سنة من الورق خمسون الف درهم يكون في مدة ثلاث وعشرين سنة الف الف ومائة وخمسون الف درهم ومن الثياب خمسون الف درهم يكون في مدة ثلاث وعشرين سنة الف الف ومائة وخمسون الف درهم . تفصيل ذلك : القصب الخاص الطرازي عشرون شقة الملحم الطرازي عشرون شقة الخز الصوري عشر شقاق الخز المبسوط عشر شقاق الوشي اليماني ثلاثة أثواب الوشي النصيبي ثلاثة أثواب الطيالسة ثلاثة طيالس ومن السمور والمنك والثماقم والدلق والسنجاب للقبطين . وكان يدفع اليهِ في مدخل صوم النصارى في كل سنة من الورق خمسون ألف درهم يكون في مدة ثلاث وعشرين سنة ألف ألف ومائة وخمسون ألف درهم وفي يوم الثمانين من كل سنة ثياب من وشي وقصب وملحم وغيره بقيمة عشرة آلاف درهم يكون في مدة ثلاث وعشرين سنة

مائتا ألف وثلاثون ألفاً وفي يوم الفطر في كل سنة من الورق خمسون ألف درهم يكون في مدة ثلاث وعشرين سنة ألف ألف ومائة وخمسون ألف درهم وثياب بقيمة عشرة آلاف درهم على الحكاية يكون في مدة ثلاث وعشرين سنة مائتا ألف وثلاثون ألف درهم

ولفصد الرشيد دفعتين في السنة كل دفعة خمسون ألف درهم من الورق مائة ألف درهم يكون في مدة ثلاث وعشرين سنة ألفا ألف وثلثمائة ألف درهم . ولشرب الدواء دفعتين في السنة كل دفعة خمسون ألف درهم مائة ألف درهم يكون في مدة ثلاث وعشرين سنة ألفا ألف وثلثمائة ألف درهم . ومن أصحاب الرشيد على ما فصل منهُ مع ما فيهِ من قيمة الكسوة وثمن الطيب والدواب وهو مائة ألف درهم من الورق اربعمائة ألف درهم يكون في مدة ثلاث وعشرين سنة تسعة آلاف ألف ومائتا ألف درهم . تفصيل ذلك عيسى بن جعفر خمسون ألف درهم زبيدة أم جعفر خمسون ألف درهم العباسة خمسون ألف درهم ابراهيم بن عثمان ثلاثون ألف درهم الفضل بن الربيع خمسون ألف درهم فاطمة أم محمد سبعون ألف درهم . كسوة وطيب ودواب مائة ألف درهم ومن غلة ضياعه بجندي سابور والسوس والبصرة والسواد في كل سنة قيمتهُ بعد المقاطعة ورقاً ثماني مائة ألف درهم يكون في مدة ثلاث وعشرين سنة ثمانية عشر ألف ألف واربعمائة ألف درهم ومن فضل مقاطعته في كل سنة من الورق سبعمائة ألف درهم يكون في مدة ثلاث وعشرين سنة ستة عشر ألف ألف ومائة ألف درهم وكان يصير اليهِ من البرامكة في كل سنة من الورق ألفا ألف واربعمائة ألف درهم . تفصيل ذلك : يحيى بن خالد ستمائة ألف درهم يكون في مدة ثلاث عشرة سنة أحد وثلاثين ألف ألف ومائتي ألف درهم يكون جميع ذلك مدة أيام خدمتهُ للرشيد وهي ثلاث وعشرون سنة وخدمتهُ للبرامكة وهي ثلاث عشرة سنة سوى الصلات الجسام فانها لم تذكر في هذا المدرج من الورق ثمانية وثمانين ألف ألف درهم وثمانمائة ألف درهم منها خمسة وثمانون ألف ألف درهم ثلاثة آلاف ألف واربعمائة ألف درهم

التذكرة : الخراج من ذلك ومن الصلات التي لم تذكر في النفقات وغيرها على ما تضمنه المدرج المعمول من العين تسعمائة ألف دينار ومن الورق تسعون ألف ألف وستمائة ألف درهم . تفصيل ذلك ما صرفهُ في نفقاتهِ وكانت في السنة ألفي ألف ومائتي ألف درهم على التقريب وجملتها في السنين المذكورة سبعة وعشرون ألف ألف درهم وستمائة ألف درهم ثمن دور و بساتين ومتنزهات ورقيق ودواب والجازات سبعون ألف ألف درهم ثمن آلات وأجر وصناعات وما يجري هذا المجرى ثمانية آلاف ألف درهم . ما صار في ثمن ضياع ابتاعها لخاصته اثنا عشر ألف ألف درهم . ثمن جواهر وما أعده للذخائر عن قيمة خمسمائة ألف دينار خمسون ألف ألف درهم . ماصرفهُ في البر والصلات والمعروف والصدقات وما بذل بهِ خطه في الكفالات لاصحاب المصادرات في هذه السنين المقدم ذكرها ثلاثة آلاف ألف درهم . ما كابره عليهِ أصحاب الودائع وجحدوه ثلاثة آلاف ألف درهم . ثم وصى بعد ذلك كله عند وفاتهِ الى المأمون لابنهِ بختيشوع وجعل المأمون الوصيّ فيها فسلمها اليهِ ولم يعترض في شيء منها عليهِ بتسعمائة الف دينار . ولا عجب فيما قاله فيون الترجمان ان جنس جورجس وولده كانوا أجل أهل زمانهم بما خصهم الله بهِ من شرف النفوس ونبل الهمم ومن البر والمعروف والافضال والصدقات وتفقد المرضى من الفقراء والمساكين والأخذ بأيدي المنكوبين والمرهوقين على ما يتجاوز الحد في الصفة والشرح

وبلغ بختيشوع بن جبرائيل من عظم المنزلة والحال وكثرة المال مالم يبلغه أحد من سائر الاطباء الذين كانوا في عصره وكان يضاهي المتوكل في اللباس والفرس و يبلغ من كمال المروءة ومباراة الخلافة في الزيّ واللباس والطيب والفرش والصناعات والتفسيح والبذخ في النفقات مبلغاً يفوق الوصف وكان أيضاً لطيف المحل من المهتدي بالله وشكا اليهِ ما أخذ منه في أيام المتوكل لنكبة وقعت عليهِ من هذا لفرط ادلاله عليهِ فأمر ان يدخل الى سائر الخزائن فكل ما اعترف بهِ فليرد اليهِ بغير استئمار ولا

مراجعة فلم يبق له شيء الا أخذه واطلق له سائر مافاته وحاطهُ كل الحياطة

وكان عبيد الله بن بختيشوع متصرفاً ولما ولي المقتدر الخلافة استكتبهُ لحضرتهُ وبقي معهُ مُديدة وصار ابنهُ جبرائيل من خاصة عضد الدولة بن بويه وكان يكرمه كثيراً ويغدق عليه المشاهرات ووصله الصاحب بن عباد بما قيمتهُ الف دينار وكان دائماً يقول صنفت مائتي ورقة أخذت عنها الف دينار يعني بذلك الكناش الذي وضعهُ بأمر الصاحب في الامراض التي تعرض من الرأس الى القدم

وكان عيسى المعروف بأبي قريش صيدلانيا اكرمهُ المهدي مرة ولم يزل يطرح عليه الخلع وبدر الدنانير والدراهم حتى علت رأسهُ وكناه أبا قريش أي أبا العرب . وخلف اثنين وعشرين الف دينار مع نعيمة سنية . وكان عبدالله الطيفوري من أحظى خلق الله عند الهادي وزكريا بن الطيفوري كان من جماعة القائد أفشين كان منهُ ان امتحن الصيادلة في معسكره كما امتحن يوسف لقوة الكيمائي زمن المأمون صيادلة بغداد . وكان اسرائيل ابن زكريا الطيفوري جليل القدر عند الخلفاء والملوك كثيري الاحترام له وكان مختصاً بخدمة الفتح بن خاقان بصناعة الطب وله منه الجامكية الكثيرة والانعام الوافر . وكان المتوكل بالله يرى له كثيراً ويعتمد عليه ولهُ عند المتوكل المنزلة المكينة وجدّ مرة على المتوكل لما احتجم بغير اذنه فنقدى غضبه بثلاثة آلاف دينار وضيعة تغل له في السنة خمسين الف درهم وكان متى ركب الى دار المتوكل يكون موكبهُ مثل موكب الأمراء واجلاء القواد . وكان يزيد بن زيد بن يوحنا متطبب المأمون وخدم ابراهيم بن المهدي ولهُ منه الاحسان الكثير والانعام الغزير والعناية البالغة والجامكية الوافرة . وقديم سابور بن سهل عند المتوكل وكان يرى له وكذلك عند من تولى بعده من الخلفاء وكان عالماً بقوى الادوية المفردة وتركيبها وكان موسى بن اسرائيل الكوفي متطبب ابراهيم بن المهدي . وكان سلمويه بن بنان متطبب المعتصم اختاره لنفسه لما استخلف واكرمه اكراماً كثيراً يفوق الوصف وكان يرد الى الدواوين توقيعات

المعتصم في السجلات وغيرها بخط سلمويه وكل ما كان يرد على الامراء والقواد من خروج امر وتوقيع من حضرة أمير المؤمنين فبخط سلمويه وولى اخا سلمويه ابراهيم ابن بنان خزن بيوت الاموال في البلاد وخاتمه مع خاتم أمير المؤمنين ولم يكن أحد عنده مثل سلمويه وأخيه ابراهيم في المنزلة وكان المعتصم يسميه أبي فلما اعتل سلمويه عاده المعتصم وبكى عنده فلما مات امتنع المعتصم من اكل الطعام يوم موته وأمر بان تحضر جنازته الدار ويصلى عليه بالشمع والبخور على زي النصارى الكامل ففعل وهو بحيث يبصرهم ويباهي في كرامته وحزن عليه حزناً شديداً. وعالج ابراهيم بن أيوب الايرش اسمعيل اخا المعتز وبريء فاجازته أمه والمتوكل بست عشرة بدرة [1] وكان أخص المتطببين عند المعتز لما أفضت الخلافة اليه. وكان جبرائيل كحال المأمون يدخل اليه في كل يوم عند تسليمه من صلاة الغداة فيغسل أجفانه ويكحل عينيه فاذا انتبه من قائلته فعل مثل ذلك وكان يجري عليه الف درهم في كل شهر

واجرى الرشيد على ماسويه ابو يوحنا الفي درهم في الشهر ومعونة في السنة عشرين الف درهم وعلوفة ونزل وألزمه الخدمة مع جبرائيل وكان لهذا في الشهر عشرة آلاف درهم ومعونة في السنة مائة الف درهم وصلات دائمة واقطاعات

وخدم يوحنا بن ماسويه بصناعة الطب المأمون والمعتصم والواثق والمتوكل وكان له منهم الانعام الكثير والمنزلة السامية وله عليهم دالة الاقران على اقرانهم لا الخدام على مخدوميهم. وكان ميخائيل بن ماسويه متطبب المأمون وكان به معجباً وله على جبرائيل بن بختيشوع مقدماً حتى كان يدعوه بالكنية اكثر مما يدعوه بالاسم وكان لا يشرب الادوية الا مما تولى تركيبه واصلاحه له. وبلغ حنين بن اسحق عند المأمون منزلة عاليـة لانه كان رئيس جماعة التراجمة لعبده وكانت له الاقطاعات الحسنة والجواري الجيد والاحسانات الفائضة وزادت مكانته كثيراً بعد خروجه من

(١) البدرة كيس فيه الف أو عشرة آلاف درهم أو سبعة آلاف دينار

المحنة التي ألحقها به أعداؤه وامر المتوكل الاطباء الذين طلبوا قتل حنين وسعوا فيه لديه ان يحمل اليه كل منهم عشرة آلاف درهم وأمر ان يضاف اليها مثلها من خزانته فكانت زهاء مائتي الف درهم . قال حنين في كلامه على ذلك ثم ان الخليفة امر باصلاح ثلاث دور من دوره التي لم أسكن قط منذ نشأت في مثلها ولا رأيت لاحد من أهل صناعتي مثلها وحمل اليها سائر ما كنت اليه محتاجاً من الاواني والفرش والآلة والكتب وما يشاكل ذلك بعد ان شهد لي بالدور وتوثق بشهادات العدول لانها كانت خطيرة في قيمتها لانها تقوم بالوف دنانير فلمحبته لي وميله اليّ ان تكون لي ولعقبي ولا تكون عليّ حجة لمعترض فلما فرغ مما أمر به من الحمل الى الدور وجميع ما ذكر وتعليقها بانواع الستور ولم يبق غير المضي اليها امر بحمل المال الضعف الكثير بين يدي وحملني على خمسة أروس من خيار بغلاته الخاصة بمواكبها ووهب لي ثلاثة خدم روم وامر لي كل شهر بخمسة عشر الف درهم وأطلق لي الفائت من رزقي في وقت حبسي فكان شيئاً كثيراً وحمل من جهة الخدم والحرم وسائر الحاشية والاهل ما لا يمكن ان يحصى من الاموال والخلع والاقطاع وحصلت وظائفي التي كنت آخذها خارج الدار من سائر الناس آخذها من داخل الدار وصرت المقدم على سائر الاطباء

وخدم يوحنا بن بختيشوع بصناعة الطب الموفق بالله طلحة بن جعفر المتوكل وكان يعتمد عليه كثيراً ويسميه مفرج كربي . وحظي بختيشوع بن يوحنا من الخلفاء وغيرهم واختص بخدمة المقتدر بالله وكان له منه الانعام الكثير والاقطاعات من الضياع وخدم بعد ذلك الراضي بالله فاكرمه وأجراه على ما كان باسمه في أيام أبيه المقتدر

الباقي للآتي

النعام في الحضارة المصرية

عن مجلة الطبيعة الفرنسوية

النعامة أعظم الطيور واضخمها يبلغ علوها نحو مترين ووزنها أربعين كيلوغراماً احياناً . سمعها دقيق ونظرها حاد وحاسة الذوق والشم فيها غليظة بحيث لا تتخير غذاءها وقلما تميز بين جيده ورديئه . فهي وان تكن من الحيوانات آكلة العشب تخضم أغذية باتية وتحتك بكل ما يقع نظرها عليه من حديد وقرمد وخشب وتصدمه حتى يكاد يتناثر . ساقاها مستويتان مستطيلتان متينتان حتى انها لتقطع نحو ٢٨٠ كيلومتراً في أقل من عشر ساعات فتبذُّ بذلك الصافنات الجياد في حلبة الطراد . وريش جسم ذكر النعام اسود فاحم وريش الاجنحة والذنب أبيض وعنقها أجرد لا ريش له وهو أحمر كساقيها وعينها زرقاء ومنقارها أصفر ورجلاها سنجابيتان وهي كالجمل تنزل المناطق الحارة المنعزلة عن الناس

عرف القدماء النعام وورد ذكرها في التوراة أكثر من مرة وسماها اليهود « ابنة الصياح » وكثيراً ما تزعق في المطارح النائية الواسعة في ظلمات الليل وتنخر نخيراً ممزوجاً بعويل محزن يرمض القلوب ويجلب الكروب . وهي من البلاهة بحيث لا يضاهيها حيوان حرمها الخالق تعالى من الحكمة ولم يجعل لها حظاً من الذكاء كما ورد في التوراة . ويذكر بلين ان الصيادين يضطرونها الى ان تقبع رأسها وتخفيه ظناً منها بأن لا يراها أحد ومتى طاردها المطاردون تستخدم رجليها بمثابة مقلاع وترمي بهما أحجاراً بغلظ الكف

هذا الطائر مشهور منذ القرون العريقة في القدم ويبيض في الرمل ولا تحضن اناثه بيضها الا من الليل لان حرّ النهار ينتفها . وانك لتراها أرسالاً وعصائب على مقربة من الواحات في رمال افريقية وبلاد العرب وتُرى في الصحراء من جبال الاطلس الى ضفاف النيل وفي رمال صحراء ليبية ومصر الوسطى وفي القفر الواقع في الجنوب

الغربي من الاسكندرية

رأينا النعامة مرسومة فى مصانع الفراعنة والحبشان آخذين بزمامها وقد لزّت في قَرَن مع الاسود والفهود وغيرها من حيوانات تلك الارجاء . ويروي عنها في اساطير الاولين روايات من مثل اختيارها دون سائر الحيوانات لانقاذ اله الخمر لما ذهب هذا الى الهند على رأس جيشه الجرار مجتازاً صحاري ليبية حتى اذا اشتد به الظمأ استغاث بالمشتري فدله على نعامة فتبعها حتى قادته الى مكان حفرت فيه الارض بمنقارها فنبضت منها عين

ولطالما كان الصيادون يطاردون النعام مطاردة شديدة وكثيراً ما كانوا يلبسون جلودها ويقلدونها في حركاتها فيقتربون منها ويباغتونها . يستعملون لحمها غذاء لهم ويستخدمون جلدها تروساً أو ثياباً أو مضاجع وفرشاً . واذا تمكنت النعامة من صيادها نفشت فيه سماً قتالاً وعضته عضة يقاسي منها انواع الالم فلا تكون عاقبتها عليه سوى الموت. اما بيض (بيض) النعامة فكان الصيادون يأكلون ما في داخلها فاذا أتوا عليه يستعملون القشرة اقداحاً واكواباً واذا رأوها ضخمة يقسمونها شطرين يكونان قُبَّعتين لرجلين يستران بهما رأسيهما

وما زال بعض السكان في افريقية الى يومنا هذا يقتاتون من لحم النعامة وشحمها وبيضها ويبيعون ريشها أو يستخدمونهُ زينة لرؤوسهم . ويستخدم النعام لحمل الاثقال. وشاعت عادة ركوب النعام في القديم كل الشيوع . ويؤخذ مما قاله بوزانياس القائد الاسبارطي المشهور (٤٧٧ ق . م) انه رؤي على جبل هيليكون من بلاد اليونان تمثال لارسينوي الأميرة المصرية التي تزوجت بطليموس محمولاً على نعامة من النحاس . ويقول اتينيه الكاتب اليوناني الذي جاء في القرن الثالث للمسيح انهُ كان في الاحتفال بظفر فيلادلف الذي قام في الاسكندرية ثمانية قطارات من النعام في كل قطار نعامتان وقد رُسمت صورة جماعة يتعاطون الشراب مرسومة على كوب وفيها ست نعامات يركب

متونها فتيان ويسير امامهم رجل مستور الوجه ووراءهم موسيقار يمشي الهوينا ضارباً بمزماره

ومما يقصونهُ من الاخبار عن فيرموس ما ركوس الجبار المصري انهُ كان يركب نعاماً ضخمة ويستوي على ظهورها فتنساب به انسياباً سريعاً حتى كنت تخاله يطير وكان أكولاً يُطعَم كل يوم نعامة . وذُكر ان هليوكابال الامبراطور الروماني وضع على مائدته ستمائة مخ نعامة. وكان موسى على العكس يكره لحم النعام وحظر على بني اسرائيل استعماله . واستعمل النعام في نينوى صوراً لطيفة في الثياب المطرزة والمشالح الاشورية . وفي بعض النقود الرومية صور مقلوبة تمثل نعامة تسير الى الشمال والكلب يهمُّ بها . وفي صور قدماء المصريين أشياء كثيرة تدل على استخدامهم النعام في كثير من المهامّ

ورد في كتب التاريخ أقاصيص عن حسن تخلص النعام في الحروب مما يرجع الفضل فيه لشكلها لانها تشبه الطائر وتشبه ذوات الاربع ولها من كل فصيلة من هذه الفصائل أحسن ما فيها . وكان لريشها أثر وأي أثر في أساطير وادي النيل لم يصل اليه الجهلان ولذلك نرى من جملة الجزى التي كان الفراعنة يضربونها على سكان الحبشة جزية وافرة من الريش وبيض النعام زيادة على ما كانوا يفرضونه عليهم من خرائط التبر

يقول هورابولون ان المصريين كانوا يمثلون للرجل العادل بريش النعام بدعوى ان هذا الطائر هو الوحيد من بين الطيور في تساوي ريشه . ولذلك أمثلة كثيرة في تاريخهم القديم . وترى في الخط الهيروغليفي ان ريش النعام اشارة الى صوتين مختلفين (ما وسو) فيستخدم الاول لكتابة الحقيقة. ويفهم من مغزى الفلسفة المصرية ان معنى (ما) العدل فمن ثم كانت ريشة النعامة رمزاً الى ربة الحقيقة والعدل

ترى هذه الريشة التي تمثل الحقيقة والعدل ماثلة احياناً وقد جعلت رأساً لجسد امرأة وكثيراً ما تظهر في صورة رشيقة متجلببة برداء ضيق وقد جعلت في ذراعيها وكاحليها أساور وفي احدى يديها اشارة الحياة وفي الثانية صولجاناً تريد بذلك الحقيقة والعدل . وكثيراً ما كنت ترى أمثال هذه الصور ماثلة بعضها امام بعض وقد

تزينت بحلاها و برزت بجمالها وجلالها

مُثلت (ما) ايضاً وعلى رأسها ريشة النعام وهي جاثمة وعيونها معصبة . وعلى هذا النحو كان الملوك يقدمون للارباب في مدافن الفراعنة صوراً من امثال هذه دليلاً على الطاعة وأداء الواجب . وكان رئيس المحكمة المصرية يحمل صورة صغيرة تشبه هذه الصورة مصنوعة من الاحجار الكريمة مناطة بسلسلة من ذهب واذا تقلدها الرئيس يكون ذلك رمزاً الى ان المرافعات ابتدأت . وكان المصريون يعتقدون ان (ما) هي صاحبة أوزيريس في الحياة الاخرى وانها تقف في مدخل الجنة تتلقى أرواح الابرار الاطهار وتبعث فيهم روح الطُمأنينة وحسن الثقة بالارباب

وكذلك الحال في (سو) فانه كان رمزاً على رب الارباب ورمزاً على النور المنبعث من الشمس . و (سو) يمثل النسيم العليل الذي ينازع زعازع القفر وقواصف البادية . ولذلك ترى في قباب المعابد القديمة عقباناً تحرك ريش النعام لتدفع به التأثيرات السيئة

وترى كثيراً من ريش النعام معلقاً في رؤوس الارباب . والريشتان المزدوجتان خاصتان بعمون را وأوزيريس ونوفري توم رب الافراح . وكان ملوك الفراعنة يرفعون ريش النعام للقيام ببعض الفروع الدينية ويزدان اوزيريس في محكمته بريش النعام ايضاً

وريش النعام مقام مأثور في العادات المصرية الدينية عند القدماء فقد كان يجعل منهُ مذابٌ ومراوح وكانت علامة مميزة للامراء من أهل بيت الملك ومن أعاظم الحكام فيستعمل مراوح وسجفاً يحيط بمظلة الملك وزينة تناط برأس خيوله وتخفق عليه كما رأيناها تناط بعصابة الرأس وتندمج مع الشعر المستعار أزرقاً كان أو أسود . وكان المصريون يجعلونه عنواناً على زعمائهم وهو لهم زينة نادرة الظرف واللطف . ولذلك ترى ريش النعام ماثلاً في المعابد والمدافن وتشاهده في مدينة عبو كما تشاهده في مدينة ثيبة

كان كبار القوم يعلقون ريشتين على شعورهم اشارة الى الزينة والابهة من اجل هذا ترى الريش حيثما اتجهت في ارض الفراعنة يُتخذ زينة فهو يرفرف على الرؤوس ويتقلقل في أيدي أمراء الملك وآل بيت الفراعنة كما تراه على سدنة بيوت الارباب والكهنة والضاربين بالمزمار والطنبور يستجيدون ألطفها ويتزينون به كما كانت ترفع على اطار الثور الابيض الذهبي وغيره في الحفلات الدينية فيجيء النسيم يحركها

نعم كنت ترى الريش في كل مكان وبعضه ملون أخضر كالزمرذ وبعضه ابيض ناصع وبعضه أسود فاحم وآخر أحمر قانٍ . ومثل ذلك قلْ في بيض النعام ايضاً فمنها ما كان يُلوّن بالزُّرقة أو يبقى على طبيعته وكان يُعَدُّ في المقابر من توابع الزينة ومنه ما يجعل أكاليل أو سبحاً طويلة وكثيراً ما كنت تراها تضم الى العمد اللطيفة كأنها تاج للظلات على نحو ما ترى لعهدنا في المدارس القبطية يستخدم لمثل هذه الغاية من الزينة واللطافة في كل ناحية بريم حرير غليظ تعلق به مصابيح قرمزية أو غيرها من الاضواء توقد ليل نهار امام المذبح

الشعر العربي

جزعت السهول وجبت الوعوثا ... وسرت الى المجد سيراً حثيثا
عجلت وعندي لادراكه ... صريمة نفس أبت أن تريثا
متى أنا أطلقت من غربه ... يعدْ ذكرُ المرهفات أنيثا
دعاني الهوى والهوى ضلة ... فكنت لدعوته مستريثا
واعرضت عن لفتات الدمى ... وعفت خلاخيلها والرعوثا
اليكنَّ عني ذوات اللمى ... لقد عاد حبي بكنَّ رثيثا
كتمت عن الناس اخباركن ... ثم نثت الكتيم نثيثا

ذكرت حديث الهوى برهة وأنسيت نفسي ذاك الحديثا
وما زلت فوق ظهور المطي طوراً سميناً وطوراً غثيثا
الى ان بلغت قصارى المنى وعدت لكل علاء وريثا
ونلت الذي لم تصله الظنو ن مجداً أثيلا وعزاً أثيثا
وادركت غاية ما يرتجى وحزت قديم العلى والحديثا
واصبحت بين الملا مفرداً أجير طريد الليالي الكريثا
أفرج كربة كل امرىء أتى بيَ من دهره مستغيثا
انا من تشير اليهِ البنا ن ظعيناً اذا ما يرى أو لبيثا
تحط بأثقالها المكرما ت حيث يحط الأمون الدلوثا
نجائب عزم اذا ارقلت تركن الحزون أباطح ميثا
متى تحتلبها تجد عندها لبون الخطوب شطوراً ثلوثا
من القوم عهدهم لم يزل وثيقاً وعهد سواهم نكيثا
اذا ما دعوا للندى والكفا ح هبوا أسوداً وسألوا غيوثا
ليوث وغىً انجبوا للعلى ليوث وغىً تسترق الليوثا
فكم أصلحوا للورى فاسداً وذادوا الليالي عن ان تعيثا
تمنى السماء وجوزاؤها ببوغاء أرضهم ان تلوثا
ترحل الى العز يا إبنه ولا ترض في دار هون مكوثا
وخذها معتقة من على تريك لدى المزج نوحاً وشيثا
ولا تخدعنك وجوه الورى وكن للسرائر منها نبيثا
لكم من فتى خلتهُ طيباً فألفيته بعد ذاك خبيثا

القاهرة عبد المحسن الكاظمي

حكم وخواطر

كتبت منذ سنوات في المجلة المصرية بعض جمل وخواطر سنحت لي يومئذ منها ما تحديت بهِ مناهج الحكماء ومنها ماذهبت بهِ مذاهب التعريض والايماء الى معانٍ عصرية ومقاصد سياسية فاستحسن بعضهم تلك الجمل واستشهدوا بها ووجد في بعضها قوم اغلاقاً ولم يدركوا جميع مراميها فقصدت ان أجرّب هذا النمط مرةً ثانية لا لانني مخترعٌ شيئاً بل لاني مجدد أسلوباً اذ ان المعاني وان كان اكثرها قديما فلا بد لها في كل عصرٍ من زيّ يلائمه ولكل زمن لغة ولكل عصر بلاغة

قرائح الرجال كمعادن الجبال لا تظهر القرائح الا بالاختبار كما لا تعرف المعادن الا بالاحتفار

ما حثّ مطايا التقدم مثل مناخس الانتقاد

اذا تأخر بالانسان مركب الحياة تمنى مهبّ الحوادث

حملة العاقل في رأسهِ وحملة الجاهل على ظهره

الفضل دنبٌ يذنبهُ الفاضل الى أهل النقص فليكفّر عنهُ بالتواضع

ربّ ملولٍ من العمل لو ارتاح ملّ اكثر

قد يفيد السلب كما يفيد الايجاب واحياناً ينهض بالمرء النقص ما لا ينهض بهِ الكمال

قد يكون ما يُجدي العدو بعداوتهِ بوزن ما يفيد الصديق بصداقته وكم عداوة اكسبتك محابّ

المتكبر ممقوت ولو أخرج الحق من جنبهِ والمتواضع محبوب ولو لم يتب من ذنبهِ لانهُ مهما يكن من فضيلة فان الكبر ينسفها ومهما يكن من نقيصة فان الاقرار يُخففها

أحسن مركز للعدو العاقل العدلُ في غير لين والادب في غير خضوع

بعض الناس يداوي العداوة بالظلم و بعضهم يعالجها بالذلّ وكلاهما يزيد الداء

قد تقع الندامة على العجلة بالخير كما تقع على العجلة بالشرّ وربما كان الندم على المعروف مع غير اهله انكى من الندم على الجزاء في غير اهله

الصادق اشدُّ الناس دهاء لانه يصل الى جميع مقاصده من أخصر الطرق ويعبر الى النجاة على جسر الاعتقاد

اذا كان العامل عالِماً كان اذًا العالِم عالِماً (العامل الاول هو الوالي)

اذا كان الملك حكيماً فمملكتهُ هي المدينة الفاضلة

لا تظنن العالم الشرير عالِماً لان العلم الذي لا تظهر معه النفس هو كالماء الذي لا يطهّر من النجس

جميع الخلائق مفترسة لكن بعضها يأكل بالاسنان وبعضها يأكل باللسان

ليس المهذَّب من لا تجد له عدوّاً بل المهذَّب من لا تجد عليهِ طاعناً بحق

اكثر ما يمتدح العدوّ عدوَّه في موطن الحملة عليه

اذا ضعف زرع القلب انبت زوان الكذب على أسلة اللسان

اذا قدرت فاصفح لان علو المقام كافٍ في الانتقام

ما أقبح الهجوم بالمُعورِ والسباق بالمقصّر وإثارة العداوات بمخروق الستر

الثناء نبتٌ شائك لا يُجتنى الا بادماء الاصابع والراحة لصٌّ هارب لا يُمسك الا بهجر المضاجع

اذا أنعمت بنعمة وجحدها جاحد فلا تذكرها لان سكوتك عن المنّ اكرم من كرمك بالمنَّة

أكبر الرجال في عيني من كان فعله اكثر من قوله وباطنهُ خيراً من ظاهره

ضدَّان لا أصعب من اجتماعهما لدى المرء ضيق الرزق وسعة العقل

لا تنتقم لنفسك مثلما ينتقم لك الدهر وقد يزيد على ما كنت تريد

ما عاض من المال مثل العقل ولا سدَّ هوَّة الفقر مثلُ الشرف ولا قصف غصن

الفضيلة مثل ريح الدعوى ولا جدع أنف الاصالة مثل دنس العرض والأصيل الطاهر أولى بالعشق من الجميل الباهر

مناط الحساب العقل وعلى قدر عقل الخصم يكون انفعال خصمه منه

لا يغلبك في خصام مثل المجنون لأنهُ محكومٌ له من الجميع من أول جلسة

الصداقة أمانةٌ وجدير بالامانة التي أبت حملها الجبال ان لا تُعرض إلا على أقوياء الرجال

أسعد حالات الصداقة ان يتوازن الحسن والحب وان تتساوى درجات الاعتبار في العقل مع درجات الائتلاف بالقلب

يجب ان يصوَّب الصواب ولو خاب صاحبهُ وان يخطَّأ الخطأُ ولو فاز راكبهُ لأن الصواب للنجاح أساس وما جاء خلاف ذلك فعلى خلاف القياس

كل عبدٍ لازمٌ ذمَّة صاحبه الا في الشرّ فالنقض حلال

ما أعجب الا ممن يتعرض للنوافل وهو غير متمم للفروض وممن يتصدى للمكارم وهو غير مؤدٍ للحقوق وممن يأخذ طريقة رفاعية أو قادرية وهو مقصر في نفس الاسلام

من اغرب ضروب الحسد ان العين تجمد لجاهك ولو كنت مُحسناً وتسيل لبؤسك ولو كنت مُسيئاً

ليس معنى التعنُّت في اختيار الصديق النفور من الناس أو التقطيب في وجوه الجلاَّس اذ بين الصداقة والمؤانسة درجات فمؤانسة الجميع لباقة وكياسة ومصادقة الجميع حماقة وخساسة

لا يمكن الانسان ان يحب من لا يحترم ولكن ربما اتخذ من لا يحترم وسيلة لقضاء حاجته وشتان بين المحبة والمصانعة

لا يجب الاتكال على الكبار في تجويد الاعمال العامَّة بسبب علو مراتبهم لأن غلط الكبير يكون كبيراً ولان علو المركز يحول دون التدقيق

بقدر حظك من الدنيا تقسو عليك القلوب وعلى درجة علوّك تنظر شزراً اليك العيون

لو كانت قيمة كل امريء مايحُسنه حقاً لخسف المقام بكثير من كبار الارض

الشهادة الحسنة بحق العدوّ أحبولة التصديق عند الذمّ

الجهل البسيط أول درجات العلم وخيرٌ للانسان ان يقيم بالعرآء من ان يقيم بالبناء الساقط

يستريح المرء مع الصدوق لأنهُ يركن الى كلامهِ كله ومع الكذوب لأنهُ لا يقبل شيئاً من جدّه ولا هزله وانما كان التعب مع المتوسط هذا الذي لايُدرى متى يصدق ومتى يكذب

مامن خيرٍ محض ولامن شرّ محض ولا من حالٍ تضرُّ من وجهين

قيمة الشيء الحاجة اليهِ فالثلج قيمتهُ حملهُ والحجر ثمنهُ ثقلهُ وكم تراب هو ذهب وكم غودٍ يستطرف وهو في أرضهِ حطب

اذا طال البؤس على امريء تمنى التبديل لأن بالتقلّب على الجنبين راحةً للعليل

التواضع ستّار كل العيوب والخضوع ملينٌ لاقسى القلوب

لاتفرط في تشهي أمر فربما صار حلوُه علقماً وآلت راحتهُ ألماً وجنيت من كثرة التمني ندماً

كثرة التسهيل في الأول تورث كثرة التعقيد في الآخر

بيروت شكيب ارسلان

أميركا وعلماء العرب

كانت أميركا مجهولة عند ابنآء القرن الخامس عشر بدليل ان المؤرخين في ذلك العهد لم يذكروا عنها سوى اخبار اكتشافها في أواخر ذلك القرن غير ان كلام ايراتوستينيس واسترابون اليونانيين اللذين عُنيا بفن الجغرافيا بنحو ٢٠٠ سنة ق . م يستدل منه على ان القدمآء كانوا يتحدثون بوجود قارة مجهولة في أيامهم

ولقد اهتم الخليفة المأمون بن هرون الرشيد السابع من خلفآء بني العباس عام ٨٣٣ للميلاد بعلم الجغرافيا في جملة ما اهتم به من اصناف العلوم فكان من ذلك انه اشتغل في هذا الفن عدد من علية علمآء العرب في دار الخلافة وانتشرت معرفته من تلك المدينة الى معظم البلدان بعد ان درست آثاره وطمست اخباره في القرون المتوسطة في أوربا

ولم يقتصر علمآء العرب اذ ذاك على جمع ما بقي من أقوال علمآء اليونان والرومان في هذا الفن بل جدوا في اكتشاف بلاد مجهولة في أيامهم وتخطيطها فذهب فريق منهم سنة ٩٠٠ للمسيح الى الشرق الاقصى من القارة الآسياوية ومضى فريق آخر الى القارة الغربية . ولو لم يثبط عزائمهم أمير الجزيرة التي بلغوها بعد ٢٤ يوماً من سفرهم من لشبونة من بلاد البرتوغال الى الغرب لكانوا أول مَن اكتشفوا أميركا

وبعد فقد ظلّ هذا الفن مجهولاً في أوربا حتى أواخر القرن الرابع عشر للميلاد ولذا بقيت القارة الاميركية واوستراليا والجهات الشمالية من أوربا والجهات الشرقية من آسيا مجهولة في تلك البرهة الطويلة . ومن الحروب والفتوحات ما يبعث على يقظة العباد والبلاد وهبوبها من رقاد الانحطاط فقد حدث ان طرد السلطان صلاح الدين الايوبي عام ١١٨٧م الصليبيين من سورية فعاد هؤلاء الى المغرب بعد سبع حملات حملوها على المشرق حاملين معهم ما اكتسبوه من علوم العرب وكتبهم واخذوا

يبثون تلك العلوم في البلاد الاوربية . ومن جملتها علم الجغرافيا فشرع الاوربيون في تهذيبه وهاموا بطلب اكتشاف الديار المجهولة . ثم حدث الهمة خريستوفورس كولمبس [١] فذهب في الثاني من شهر آب (أغسطس) ١٤٩٢ من مدينة بالوس بمساعدة ازيبا ملكة اسبانيا في ذلك العهد في تسعين رجلاً وثلاث سفائن . وبعد صعوبات جمة لاقاها في طريقه من أهوال البحر ولا سيما متاعب صادفها من رجاله اكتشف أميركا بعد مضي ٦٩ يوماً من سفره

فلاعجب اذا قلت ان العرب كانوا هم الداعين الى النهضة الاوربية والى اكتشاف أميركا . فلولا اهتمام العرب بفن الجغرافيا بهمة الخليفة المأمون لكان من المحتمل ان تظل أميركا مجهولة ولولا عنايتهم بتوسيع نطاق المعارف وترقية العلوم في أيامهم لكان من الممكن ايضاً ان تظل أوربا رازحة تحت أعباء الجهل كما كانت في القرون المتوسطة . ولا يزال علماء الجغرافيا في هذا العصر معوّلين على جغرافية افريقية وبلاد التتر وقسم كبير من الشرق على علمآء الجغرافيا من العرب الذين نبغوا في القرن التاسع والقرن العاشر والقرن الحادي عشر والقرن الثالث عشر والقرن الرابع عشر. ومن جغرافيي العرب الذين ما برحوا موضوع اعتبار علمآء الجغرافيا في هذا العصر من المغاربة الزمخشري [٢] والادريسي [٣] وابن بطوطة [٤] وابو الفدا [٥]

---

(١) ولد عام ١٤٤١ في جنوا من ايطاليا وتوفي عام ١٥٠٦ (٢) ولد الزمخشري سنة ١٠٧٥ م وتوفي سنة ١١٤٤ م . وهو صاحب التآليف اللغوية والنحوية المشهورة وصاحب كتاب الجبال والامكنة والمياه في الجغرافيا (٣) ولد محمد الشريف الادريسي سنة ١١٠٠ وهو من ولد ادريس من العلويين ملوك مراكش من سنة ٧٩١ الى سنة ٩٢٦ للميلاد . ومن تآليفه مقالته الجغرافية. وهي تقسم الى سبعة أقاليم وسبعين بلداً وقد ترجم موجزها الى اللغة اللاتينية سنة ١٥٩٢ في رومية وطبعت في باريس سنة ١٨٣٧ وترجمت الى الفرنسية (٤) ولد ابن بطوطة في طنجة من بلاد مراكش سنة ١٣٠٣ وتوفي سنة ١٣٧٧م . وقد طاف في أيامه العراق العربي وجزءاً كبيراً من قارة افريقية وسورية وبلاد العرب والهند والصين وبلاد التتر والاندلس وكتبت رحلته المشهورة وسميت « تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار » وطبعت في باريس وترجمت الى الفرنسية في أربع مجلدات (٥) ولد أبو الفدا في أواخر القرن الثالث عشر وتوفي في أواسط

وياقوت الحموي[1]

سميت قارة أميركا المكتشفة العالم الجديد لانها كانت مجهولة قروناً عديدة. وسميت اميركا لان أميركوس جاء هابعد ان اكتشفها كولمبس فنسبت اليهِ أوسميت باسمه . وكان من العدل ان تسمى هذه البلاد كولمبيا تخليداً لاسم مكتشفها الاصلي كولمبس ومكافأة لخدمتهِ للعلم التي لا يساويها ثمن . وهذا الاجحاف بالانصاف يدل دلالة صريحة على ان بعض فضلاء الاوربيين القدماء وعلمائهم كان معاصروهم يهتضمون حقوقهم ويجردونهم من فضلهم وان شئت فقل يحقرونهم كما احتقر ذلك المكتشف العظيم . ويسوئني وايم الحق ان أصرح بأن هـذه العادة متأصلة في الشرق وانها تدلّ على كساد بضاعة العلم وعدم تقدير رجال الادب والوطن حق قدرهم . وهؤلاء أصل كل تمدّن وتقدّم في كل قطر ومصر . وياحبذا لو يقتدي من يهمهم خير البلاد والعباد بالخليفة المأمون و بأبي الفدا الملك والمؤرخ فيخلدون ذكراً مجيداً على مرّ الايام فالبلاد لا تسعد بدون انتشار العلم . والعلم لا تقوم له قائمة بدون مساعدة رجاله ومناصرة طلاّبه

الولايات المتحدة . اوماها . نبراسكا . يوسف جرجس زخم

القرن الرابع عشر للميلاد. وهو الملك المؤيد اسماعيل أبو الفدا صاحب حماة ويعتبره العلماء ثاني الخليفة المأمون من حيث محبته للعلم ورجاله . ومن تآليفه في فن الجغرافيا كتاب تقويم البلدان طبع في باريس وفي درسدن

(١) ولد ياقوت الحموي سنة ١١٧٩ في بلاد الروم وتوفي سنة ١٢٢٩ في حلب . ومن تآليفه المفيدة في فن الجغرافيا معجم البلدان وكتاب المشترك وضعاً . وقد طبع هذين الكتابين العالم وستنفلد الالماني الأول في ليبسك في ستة مجلدات سنة ١٨٦٦ والثاني في مدينة غوتنغن سنة ١٨٤٦

الارض

خبر في الارض أوحتهُ السما لاولي العلم برُسْل الفِكرِ

أنَّ هذي الارض كانت أولا ما ترى بحراً بها أو جبلا
أو سهولاً أو ربىً أو سبلا أو رياضاً زهرها الغض نما
من سحاب جادها بالمطر

انما كانت كتلك الاخوات من نجوم سائرات دائرات
حول شمس هي احدى النيرات كنَّ من قبلُ عليها سُدُما
كتلةً واحدة في النظر

ثم بعدُ انفصلت من ذا السديم قِطَع منها صغير وجسيم
ضمنَ أفلاكٍ بها الدورَ تديم فاستقر الكل فيها أنجما
حول غير الشمس لم تستدر

أولاً نبتون منه انفصلا ثم أورانِسُ يهدي زحلا
ثم للمشتري مرّيخ تلا ثم هذي الارض فالزهرة ما
بعدها غير أخيها الاشهر

وأخو الزهرة بالشمس اقتدى ولها أقربَ سيارٍ غدا
وهي سارت خلفهُ طول المدى فامامَ الارض ذاتَ انتظما
خلفها المريخ ثم المشتري

أرضنا كانت لظىً مشتعله مذ من الشمس غدت منفصله
لم تزل في دورها متقله كتلةً فيها اللهيب احتدما
وهي ترمي في الفضا بالشرر

كان فيح النار منها مصمدا وَهَجاً في الجوّ عنها مبعدا
حيث لا يمكن ان ينعقدا فوقها منهُ بخارٌ دِيَما
هاطلات بالحيا المنهمر
بقيت حيناً وهذا أمرُها وهي بالاشعاع يخبو حرّها
وانثنى يبرد من ذا ظهرها فاكتست قشراً يحاكي الأدَما
واستمرت بطنها في سُعُر
ثم قد صار على مرّ الزمان قشرها يغلظ آناً بعد آن
بَيْد ان النار عند الهيجان قد أعادت قشرها منخرما
بصدوع مدهشات البصر
شخصت أطراف هاتيك الصدوع بجبال شمخت منها الفروع
ولها في العين أشكال تروع تقذف الافواه منها حُمما
صار منهن ركام الحجر
حصلت من قذف هاتيك المواد حيث يجمدنَ جبال ووهاد
وركاز وصخور وجماد بعضها دقّ وبعض غظما
وهو صلب الجسم صعب المكسر
وهناك انعقدت فيها الغيوم من بخارٍ كان في الجو يعوم
ردّه البردُ مياهاً في التخوم فجرى السيل عليها مفعما
كل غور فوقها منحدر
عمها السيل فغطى حين سال سطحها مجترفاً منها الرمال
فطما الماء ولكن الجبال شخصت في الماء لما ان طما
وعلت كالسُّفُن فوق الابحر

غمر الماء بها ما غمرا ثم خلّى بعضها منحسرا
محدثاً في السطح منها جُزُرا أنزل الماء بها ما حطما
من طُغال وحتات المدر
بسيول الماء كم فيها أرتكم من رمال رسبت فيها أكم
ولكم خدّت أخاديد وكم قد بنت من طبقات غلّما
نضدت فيه صفيح المرمر
ثم صارت وهي من قبلُ موات تصلح الاقطارُ منها للحياة
فانبرت تنبت في البدء النبات ثم أبدت من قواها النسما
وارتقت فيها لنوع البشر
فغدت اذ ذاك تزهو بالرّياض وبها الادواح تنمو في الغياض
ثم ترميها أكف الانقراض بانحطام حيث تمسي فحما
حجرياً بمرور الاعصر
من حطام الخلق في الارض هضاب كونتهن أكف الانقلاب
ما تراب الارض والله تراب انما ذاك حطامٌ قدُما
من جسوم باليات الكسر
كم على الارض رفات باليات من جسوم طحنتها الدائرات
فاحتفر في الارض تلك الطبقات تجد الانقاض فيها رمما
هي للاحياء أو للشجر
كل وجه الارض للخلق قبور خفف الوطء على تلك الصدور
والعيون النجل منهم والثغور انما أنت ستفنى مثلما
قد فنوا والموت دامي الظُّفُر

ظلت الارض على كرّ الدهور تُبحر الاجبُل فيها والبحور
فوقها تُجبل والمآء يغور وعلى ذاك استدل الحكما
بجبال السمك المستحجر

علمآء الارض لم تبرح ترى حيوان البر لما دثرا
منه في الابحر أبقى أثرا وكذا في البرّ الفى العلما
أثراً من حيوان الابحر .

كل ما في الارض من قفرٍ وبيد وجبال شهقت فوق الصعيد
عن زهآء الربع منها لا يريد وسوى ذلك منها انكتما
تحت مآء البحر لم ينحسر

في صعيد الابحر المنغمس مثل ما يوجد فوق اليَبَس
من جبال نائئات الارؤس ووهاد تستزل القَدَما
ورُبىً مختلفات القَدَر

ما نرى اليوم من المآء الحميم والبراكين التي تحكي الجحيم
ومن الزلزال ذي الهول العظيم دلّ ان الارض فيما قدُما
ذات جرم ذائب مستعر

كل ما كان بحال السيَلان فهو يغدو كرة بالدوران
وكذاك الارض فى ماضي الزمان كروياً قد غدا ملتئما
جرمها من سيلان العنصر

ثم ان الارض من قبل الجمود ولدت منها وليست بالوَلود
قمراً دار عليها بسعود وجلا في الليل عنها الظلما
فهي بنت الشمس أم القمر

بغداد معروف الرصافي

نبأ من الصين

من مبحث لاحد علماء الفرنسيس في « المجلة » الباريزية

كان لانتصار اليابانيين على الروس رنة فرح في الصين والهند فاعتبرت الصين بهذه الحرب وتنبه في أبنائها شعور الوطنية وراحوا بعد ان كانوا يفزعون من العُدد الحربية التي هي أدوات التمدن الاوربي ينزعون عنهم لباس الخوف وتأبى نفوسهم الاستسلام للبيض على نحو ما كانت حالهم منذ قرون وقلما أُثر في الماضي عن الصينيين انتفاض أو ثورة على الاجانب بل كانوا أبداً يحتقرون برابرة الغرب في سرهم ويعتبرونهم دونهم من حيث الذكاء والمدنية . أما الآن وقد أثبتت الجيوش اليابانية لاهل الجنس الاصفر ان ما أقامه الاوربيون من العقبات في سبيلهم يمكن تذليله فقد نفضت الصين عنها غبار الكسل واطرحت الجبن جانباً وهبت من سباتها عازمة ان تشترك في الجهاد الزمني الذي يتمخض به الجنسان الابيض والاصفر ولم تكن الحرب اليابانية الروسية الا امارة من اماراته ومقدمة من مقدماته

تألف في الصين حزب يطالب بالاصلاح فأرادت الحكومة بادئ بدء ان تحل عراه مخافة ان يكون مبتسراً فلا تجني البلاد منه غير توطئة السبل للاغيار من الاوربيين ولكنها عادت فتركته وشأنه فكثر اشياعه لكثرة انتشار الافكار في مملكة ابن السماء بأنه لا امان من تقسيم الاوربيين او الاذلال بيد اليابانيين الا اذا صلحت حالها ولذلك انضم الى حزب (كانغ يو واي) المصلح الشهير كثير من العمال الذين يخشون على بلادهم من التمزق . وما لبثت الافكار الجديدة ان سرت الى بلاط امبراطورة الصين بفضل بنات سفير ابن السماء في باريز يوكانغ اللائي تهذبن أحسن تهذيب فاختارتهن الامبراطورة نديمات لها فاغتنمن هذه الفرصة وانشأن يؤثرن حتى في الامبراطورة نفسها .

وانك لترى اليوم الامبراطورة — وهي صاحبة الصين من أقصاها الى اقصاها — بعد ان كانت منذ خمس سنين بعيدة كل البعد عن الافكار الحديثة وكانت عزلت ابن أختها عن الحكم لانه ظهر انه ميالٌ لحزب الاصلاح قد أخذت اليوم تدخل بذاتها في طريق الاصلاح وعزمت كل العزم ان تنظم مملكتها وانشأ مستشاراتها العارفات على مافيهن من حذق ودربة يقنعنها بما تصيراليه المملكة من الدمار اذا تُركت وشأنها لان المطامع محدقة بها . فأي مسئولية تلحق الامبراطورة وبأي وجه تقابل أجدادها بعد موتها اذا هي غادرت المملكة السماوية نهب أيدي الناهبين ممزقة كل ممزق .

وينسب وصول حزب الاصلاح الى غاياته لأولئك التلاميذ الذين يتلقون العلم في المدارس خارج بلادهم وخصوصاً لمن يدرسون في كليات اليابان وكلهم يد واحدة في محاولة اصلاح بلادهم ذاك الاصلاح الذي به أصبحت اليابان مملكة مغبوطة مرهوبة الجانب والبأس وان كثيرين من هؤلاء التلاميذ ينزعون الى الثورة ويريدون ان يقطعوا كل صلة مع الماضي وان يقيموا على انقاضه أساس ملك جديد يتمكن من ضبط قياد الصغر عامة بيده . وكان من نتائج أعمالهم الشريفة ان انبث هذا الفكر على التدريج في عقول اربعمائة مليون نسمة من سكان الصين وانشأوا صحفاً باللغة العامية أخذ منشئوها ينقدون أحوال المملكة السماوية ويطالبون بتغيير ادارتها ويحملون الحملات المنكرة على كل عامل يقف في طريق الاصلاح ويناوئ سياسته غير مبالين بما قد ينتج لهم ذلك من العذاب الشديد أحياناً

ولم يتخلف النساء أيضاً عن الاشتراك في هذه الحركة اذ كان لهنّ من بنات الوزير نديمات الامبراطورة المشار اليهن أعظم مثال ينشطهن ويحتذين مثاله فأسسن مدارس لبنات الحكام وأسست الامبراطورة من مالها الخاص مدرسة خاصة لتهذيب بنات موظفي قصرها . وكانت المرأة الصينية الى هذا العهد تعيش في جهالة جهلاء وحالها

نسق واحد مزوجة كانت أم عازبة لا تخلل حياتها سلوى أدبية. وان كانت من الغنيات تمتاز باقطاعها عن كل عمل عن نساء الشعب . أما اليوم فقد تغيرت حالها بالمرة فان الفتيات الصينيات يذهبن الى الكليات اليابانية ينجزن فيها دروسهن مع التلاميذ الصينيين . وأصبحت تطبع مجلات خاصة بالنساء وذلك في المدن الصينية الكبرى وتصدر كتب حديثة تبحث في شأن المرأة الصينية

وكانت الامبراطورة أصدرت أمراً سنة ١٩٠٢ تنصح به لقومها ان يبطلوا عادة تعصيب الارجل لتكون صغيرة في الكبر فعادت اليوم تلغي هذه العادة البربرية رأساً بسعي مرسلي البرتستانت فتألفت جمعيات لهذا الغرض أخذ أعضاؤها على أنفسهم أن يتركوا أرجل بناتهم بدون تصغير ويمنعوا أولادهم من التزوج بزوجات ضُغطت أرجلهن في صباهن حتى صغرت . وهذه النهضة النسائية من الادلة على انقلاب حالة الصين في الزمن الاخير اذ ما كان يظهر قبل عشر سنين ان تدخل أمثال هذه الاصلاحات ويطرأ مثل هذا التبديل في أخلاق سكان مملكة ابن السماء وعاداتهم

وكانت الامتحانات المدرسية القديمة تجمع كل مرة من ٢٥٠ ألفاً الى ٣٠٠ ألف مرشح ينهم بعض الشيوخ فمنذ سنتين انقلبت الحال وأبدلت تلك الدروس الخطابية على نصوص كونفوشيوس حكيم الصين والتمارين الصعبة في الانشآء التي كان يكفي للمرء ان ينجح فيها حتى يعين عاملاً أو مهندساً أو قائداً أو طبيباً أو قاضياً أو أمير بحر الى آخره

وقد وضع الفاحصون في الامتحانات الاخيرة بأمر الامبراطورة مسائل لم يعهد مثلها للمرشحين من التلاميذ ربما لا تجرأ الكليات الفرنسوية ان تضع مثلها واليك سؤالين منها : « هل يحسن التمدن الاوربي أم لا يحسن بأمة لم تحصل عليه فقد أصبحت يابان دولة من الطراز الاول بقبولها له وعلى العكس في مصر فانها سقطت تحت نير انكلترا لما أدخلت اليها التمدن الغربي فماذا يستنتج الطالب من ذلك للصين ؟»

والسؤال الثاني : «أي الطرق المشروعة تعمد اليها الصين لتكره الولايات المتحدة على الغاء القوانين التي تقيد الصينيين عن الهجرة الى أمريكا »

ولقد أوقع رخص أجور العملة الصينيين ومنازعتهم للعملة الاميركيين بلاد الولايات المتحدة في حيص بيص فاصبح العامل منهم لا يكسب قوته الا بشق الانفس ففقدت بذلك ملايين من الريالات ولم يكتفوا بذلك بل حالوا دون البضائع الاميركية وتصريفها في مصارف الصين . وفي العام الماضي قضوا على التجارة الصينية في أقليم منوليا وقد درست البعثة التي أنفذتها الصين الى أوربا ما ينبغي لامة متحضرة من الاوضاع السياسية والمدنية لتكسر الصين قيود التقليد بعد ان كانت قروناً ترسف فيها وتصبح الصين ولها دار ندوة وانبها يعرف الانتخاب بعد ان ظلت عشرين قرناً في حروب وغارات متواصلة ومذابح لا نهاية لها كان الصينيون اذا لم يتحاربوا في خلالها بعضهم مع بعض يلتقون مع القبائل الرحّل في الشمال والسيتين والهونسيين والاتراك والتتر وقد نسي الصينيون منذ مئتي سنة ما كانوا يمتازون بهِ من الشجاعة وذلك على عهد أسرة مانشو الحاكمة الآن وما لقنتهم اياه من الاستكانة وحيتهُ الى قلوبهم من السلم واحتقار السلاح وحمله . بَيد ان ظفر اليابان الاخير أضرم في قلوبهم حب الغارة وعادت اليهم شجاعتهم السالفة وأخذت الصين تعد لها جيشاً وطنياً تستعين بهِ على دفع الطواري، نظمتهُ على النسق الاوربي وهو يبلغ اليوم مئة الف جندي متخرجين على يد ضباط المان ويابان . وسيصبح عدد جيشها بعد خمس سنين خمسمائة الف جندي منظم . وقد سُلب حكام الولايات امتيازاتهم الحربية ومن شكا منهم ذلك عُزّر وغُرّم غرامة تصرف في التجهيزات الحربية

مطبوعات ومخطوطات

عقلاء المجانين

مهما اختلفت التقلبات على العقل البشري لا تزال مادة خواطره واحدة على تباين الاعصار والامصار . فما يجول في افكار أبناء هذا العصر الجديد من الموضوعات قد جال في خيال أهل القرون الخالية . وما كل ما اخترع اليوم واستنبط كُشف سرّه في جيل أو قرن بل ان التصورات تكاد تكون واحدة وان اختلفت ضعفاً وقوّة وكل ما يبهرنا من أسباب الحضارة هو عمل قرون كثيرة

من كان يظن ان بعض سلفنا خطر له ان يُطرف أبناء عصره بكتاب في نكات المجانين وحكم البله والمتبالهين . هذا المصنف [1] هو للعلامة الثبت الناقد الحجة الرحلة ابي القاسم الحسن بن حبيب المفسر النيسابوري بدأه بمقدمة في الجنون وما ورد فيهِ في الكتاب العزيز وما احتالت بهِ قريش على الرسول صلوات الله عليهِ من نسبتهِ الى الجنون لما دعاها الى الحق شأن كل قبيل ينسب للجنون كل عاقل يخالف قوله وفعله ما هو فيهِ وتوارثه بالتقليد الاعمى

قال المؤلف : «لقد سألني بعض أصحابي عوداً على بدء أن أصنف كتاباً في عقلاء المجانين وأوصافهم وأخبارهم وكنت اتقاعس عنهُ الى ان تمادى بهِ السؤال فلم أجد بداً من اسعافهِ بطلبتهِ واجابته الى بغيته تحرياً لرضاه وتوخياً لهواه وكنت في حداثة سني سمعت كتباً في هذا الباب مثل كتاب الحافظ وكتاب ابن أبي الدنيا واحمد بن لقمان وابي علي سهل بن علي البغدادي رحمهم الله فوقع كل كتاب منها في جزءٍ ما يقارب

(١) ظفرت بهذا الكتاب في مكتبة الشيخ ابي الخير عابدين بدمشق ضمن مجموعة من مجاميعها وهي مكتوبة لثلاث وعشرين خلت من المحرم سنة ١٠٦٥ بالقسطنطينية

جزءاً تتبعها وتيقنها وضممت اليها قرائنها وعزونها الى أصحابها وألفت هذا الكتاب على غير سمت تلك الكتب وهو كتاب يكفي الناظر فيه الترداد وتصفح الكتب وأرجو اني لم أسبق الى مثله »

ثم ذكر المؤلف أصل الجنون واسماء المجنون في اللغة أورد منها الاحمق واستشهد بقول الشاعر

سبحان من نزّل الاشياء منزلها وصير الناس مرفوضا وموموقا
فعاقلٌ فطن أعيت مذاهبهُ وجاهل حمق تلقاه مرزوقا

ومنها المعتوه والاخرق والمائق والرقيع والمرقعان واستشهد بقول عبيدالله بن عبد الله

وما الناس الا وعاة العلوم وسائرهم غنم في قطيع
وانا بلينا بله حمير ومحنة دهر رفيع رقيع

ومنها الموسوس والأنوك والبدهة والذولة والموتة والعرهاة والاولق والمهوس واللبلباجة واللكع والجذب والهجاجة والرشاع ثم ذكر الامثال المضروبة في الحمق والحمق فمنها قولهم تحسبها حمقاء وهي باخس اي انها مع حمقها تظلم غيرها . ومن أمثالهم أحمق بلغ أي انهُ مع حمقه يبلغ حاجته ومن أمثالهم فيه خرقاء ذات نيقة اي انها حمقاء وهي مع ذلك تأنق في الامور . ومن امثالهم أحمق من رجلة وهي البقلة الحمقاء وحمقها انها تنبت في السروح ومسايل الاودية فيجيء السيل فيجرفها . ومن أمثالهم انه لاحمق من تُرب العقد والعقد عقد الرمل وحمقه انهُ ينهار ولا يثبت فيهِ الترب يُضرب للذي لا يثبت ولا يستقر على حال. ومن امثالهم انه لاحمق من دعة وهي امرأة عمرو بن جندب بن العنبر ومن أمثالهم أحمق من الممهورة احدى حدمتيها (هما الخلخالان) وتقول العرب للمبالغ في الجنون جنونه مجنون ولبعض أصحاب الشافعي

جنونك مجنون ولست بواجد طبيباً يداوي من جنون جنون

ومنها خامري أم عامر (كنية الضبع) ومنها انه لاحمق من العقعق قال ابن الكلبي

تقول العرب انهُ لاحمق من حماقة عقعق وذلك لانها تبيض على الاعواد فربما وقع بيضها فانكسر . والمجانين على ضروب فمنهم المعتوه والممروء والمسوس والعاشق قال الاصمعي : لقد اكثر الناس في العشق فما سمعت بأوجز ولا أجمل من قول بعض نساء الاعراب وسُئلت عن العشق فقالت داء وجنون . وكانت العرب تقول الشباب شعبة من الجنون

وهنا تم القسم العلمي من الكتاب وبدأ المؤلف يورد القصص والحكايات الكثيرة على المجانين واشعارهم وذكر أمثلة ممن اعتقد بدعة وارتكب كبيرة فأدركه شؤمها فجنّ ومن جُنّ من خوف الله ومن تجانّ وتحامق وهوصحيح العقل وهم ضروب فمنهم من تعاطى ذلك ليريح شأنهُ و يستره على الناس ومنهم من تحامق لينال غناء ومن تحامق ليطيب عيشاً ومن تحامق لينجو من بلاء وآفة

ولم تخل هذه الحكايات من حكم وأمثال لا يتأتى مثلها الا لارباب العقول واشعار لطيفة قلما تجدها فيما بين أيدينا من الكتب كقول علي بن محمد بن قادم

عذلوني على الحماقة جهلاً وهي من عقلهم ألذّ وأحلى
لو لقوا ماقيت من حرقة العلـ ـم لساروا الى الجهالة رسلا
ولقد قلت حين أغروا بلومي أيها اللائمون في الحمق مهلا
حمقي قائم بقوت عيالي ويموتون ان تعاقلت هزلا

وذكر كثيراً من أخبار أُويس القرني اول من نسب الى الجنون في الاسلام ومجنون ليلى وسعدون المجنون وبهلول وعليان وغيرهم

ومن حكاياتهم ان رجلاً آلى بيمين ان لا يتزوج حتى يستشير مائة نفس لما قاسى من بلاء النساء فاستشار تسعة وتسعين نفساً وبقي واحد فخرج على ان يسأل أول من نظراليه فرأى مجنوناً قد اتخذ قلادة من عظم وسوّد وجهه وركب قصبة فأخذ رمحه فسلم عليه وقال : مسئلة . فقال : سل ما يعنيك واياك وما لا يعنيك . فقلت : مجنون

والله ثم قلت : اني أصبت من النساء بلاء وآليت ان لا أتزوج حتى استشير مائة نفس وأنت تمام المائة . فقال : اعلم ان النساء ثلاث واحدة لك وواحدة عليك وواحدة لا لك ولا عليك فأما التي لك فشابة طرية لم تمس الرجال فهي لك لا عليك ان رأت خيراً حمدت وان رأت شراً قالت كل الرجال على مثل هذا وأما التي عليك فامرأة ذات ولد من غيرك فهي تسلخ الزوج وتجمع لولدها وأما التي لا لك ولا عليك فامرأة قد تزوجت قبلك فان رأت خيراً قالت هكذا تجب وان رأت شراً حنت الى زوجها الاول . فقلت : ناشدتك الله ما الذي غير من أمرك ما أرى قال ألم اشترط عليك ان لا تسأل عما لا يعنيك فأقسمت عليه فقال : اني رُشّحت للقضاء فاخترت ما ترى على القضاء . قلت : وقد فعل ابن الهيثم الرياضي الفيلسوف المشهور مثل هذا وترك الوزارة وتجانّ ليكون له حرية يتمتع بها في خدمة العلم .

وقال الاصمعي : قال عمي : دخلت بعض احياء العرب فرأيت شيخاً موسوساً يهذي وقد اجتمع اليه الناس فقلت مَن هذا ؟ فقالوا حساس الموسوس لا يزال ينام ليله ونهاره وربما ينتبه فزعاً مرعوباً فيجلس ساعة ثم يصيح ويهيم على وجهه ثم يعود الى نومه فبت ليلة هناك وهو على الحال الذي وصفوه فلما أصبحنا أتيته فقلت : ما اسمك ياشيخ أنت أنوم من فهد مالك تنام دهرك فقال : النوم لا تبعة عليّ فيه وفي مجالستك ومجالسة أضرابك تبعات . قلت : وأي تبعة عليك في مجالستي ؟ قال : اشتغل بك عمن انشأني ثم أنشد يقول

لقد أغنيت عن هذا السؤال وعما أنت فيه من المقال
فان كنت الغداة تريد قولا فما فيه رضى مولى الموالي

ثم عدا هائماً على وجهه في تلك الرمال قائلاً : ما اكثر فضول أهل الحضر .

قال الاصمعي : بينا انا ذات يوم عند والي الكوفة وهو يسألني عن أهل البصرة اذ أقبل مجنون بالباب يتكلم بالشعر فقال : ادخلوه فدخل فاذا هو رجل كأنهُ نخلة

سحوق نتن الاطراف موسوس فسلم على الامير فرد عليه السلام وقال: من أنت ؟ فقال : اني أنا أبو الشريك الشاعر من يسأل عني فأنا ابن الفاغر فقال الوالي : ما أمدحك لنفسك ! ! فقال :

لانني ارتجل ارتجالا ماشئت يامن البس الجمالا

قال الاصمعي : فقال لي الامير ماهذا مجنون فألق عليه ما عندك فقلت له ما الريم فقال : الريم فضل اللحم للجزار ينحره للفتية الايسار فقلت ما الحلوان فقال :

أليس ماتعطي على الكهانة والحر لا يقنع بالمهانة

فقلت ما الدكاع فقال :

ان الدكاع هو سعال الماشية والله لايخفى عليه خافيه

قلت فما التوله فقال :

عوذة عنق الطفل عندي توله وقد تسمى العنكبوت توله

قلت فما الرفة فقال :

الرفة البين فسل ماشيتا لقد وجدت عالماً خريتا

قال الاصمعي : فاستحييت من كثرة ما سألته فقال : قل ما الهلقس والسحاح والحل الرادح لا براح قلت : الهلقس الطمع الحريص والسحاح الذي لا يستقر في موضع والرادح المهزول فقال :

ما أنت الا حافظ للعلم أحسنت ما قلت بغير فهم

فقال الوالي : فجبذا كل مجنون مثل هذا ثم أمر له بعشرة آلاف درهم فلما قُدم اليه المال قال :

اكل هذا هو لي بمرة ثم سروري واعترتني شِرّة

ثم أقبل على الامير فقال :

رِشت جناحي يا أخا قريش أقررت عيني وأطبت عيشي

والكتاب معظمهُ من هذا النسق وهو يقع في نحو مئة صفحة منصفة القطع مكتوب بخط جميل تغلب عليهِ الصحة . والغالب انهُ نقل عن نسخة صحيحة ووقع في أيدي جهابذة نقّاد فقوّموا مناده وأوده أما انشاؤه فانشاء المئة الثالثة والرابعة سلاسة بلا تكلف وطبع بلا تصنع

طبقات الشافعية الكبرى — اهدانا مصطفى افندي فهمي الكتبي نسخة من هذه الطبقات لمؤلفها شيخ الاسلام تاج الدين بن تقي الدين السبكي المطبوعة في مصر على نفقة مولاي احمد بن عبد الكريم القادري الحسني الفاسي فجاءت في ستة مجلدات حوت من الفوائد التاريخية والاجتماعية والادبية والمذهبية والخلافية والمناظرات والمطارحات والفكاهات والحكايات ما لا يسع المتعلم جهله فضلاً عن المشتغلين بفقه الشافعي لان الوقوف على سيَر أرباب هذا المذهب مما لا غنية لطالب عنه

ابتدأ المؤلف كتابه بمقدمة طويلة عريضة بلغت زهاء مئة وعشر صفحات من كتابه لاتخلو من مغامز وفوائد جاءت عرضاً . ولا بد أن تقع فيما ينقله المكثار ويرويه على طرفة تستطرفها وفائدة تقتطفها . ولذلك قالوا المكثار كحاطب ليل يجمع بين الجيد والرديء . ولا ذنب في ذلك على التاج السبكي بل الذنب في الاكثر على عصره فقد كان عصر المشاغبات والمماحكات وضعف ملكة التأليف

قسم المؤلف كتابه الى طبقات سبع الاولى طبقة من جالسوا الامام الشافعي وعددهم نحو اربعين فقيهاً والثانية وهي فيمن توفي بعد المائتين للهجرة ممن لم يصحب الشافعي وانما اقتفى اثره ، ويبلغ عددها نحو ثلاثين رجلاً . والطبقة الثالثة فيمن توفي بين الثلاثمائة والاربعمائة وعددها نحو ١٧٠ مترجماً والطبقة الرابعة فيمن توفي بين الاربعمائة والخمسمائة وهي نحو ٢٧٠ فقيهاً . والطبقة الخامسة من مات بعد الخمسمائة وعددها نحو ٤٧٠ فقيهاً . والطبقة السادسة فيمن توفي بين الستمائة والسبعمائة وهي قرابة ٢٥٠ فقيهاً . والطبقة

السابعة فيمن توفي بعد السبعمائة وتبلغ نحو ١٣٥ فقيهاً . وقد ساق المؤلف أسماءهم كلها على حروف المعجم واكثر من الكلام على من ارتضاهم وربما أدخل في غمار الفقهاء من ليس منهم كما يفعل بعض مؤلفي الطبقات في الغالب حباً بتكثير سوادهم

وقد أورد التاج طرفاً كبيراً من الكوارث والفتن التي حدثت في بعض تلك الادوار استطرد اليها لادنى مناسبة واكثر ما شاء وشاءت قريحته فلم يكن منها غير تكبير حجم الكتاب على غير طائل . وطبقات الرجال لا تدخل فيها لحوادث الاجيال وهذه من خصائص كتب التاريخ السياسي . ومن يقرأ المناظرات التي ذكرها المصنف وهي مما وقع بين بعض الفقهاء المترجمين وبين غيرهم ممن ليسوا على مذهبهم يتضح له ما كان ثمت من تعصب بين المتخالفين وكيف صرف ارباب المذاهب أوقاتهم في الجدال والقيل والقال .

وانا لم نرَ عبارة لوصف هذه الطبقات اجمل من التي كتب بها الينا احد كبار شيوخ العلم في الشام عند ماصدر الجزء الاول منها قال : « قد سررت بطبع طبقات التاج السبكي لقلة ما طبع من كتب التاريخ في مصر وان كان السبكي شديد التعصب كما يظهر من مقدمة الكتاب التي أفردها لذم التعصب والمتعصبين وجعل من المفرطين فيه شيخه الحافظ الذهبي فزعم انه افرط على الاشاعرة ومدح فزاد في المجسمة يريد بالمجسمة الحنابلة وعلماء الحديث وهي عبارة تدل على فرط السخافة فان كان الذهبي متعصباً فتعصبه نشأ عن خطاء في الاجتهاد وتعصب التاج عن عناد ولجاج غير ان الزمان سيسقط كل مموّه أياً كان فينتفع بكتابه بمثل ذكر ما للمؤلف من مؤلَّف ونحو ذلك ».

والكتاب جيد الطبع على الجملة يطلب من مكتبة مصطفى افندي فهمي بخمسين قرشاً مصرياً فنحث على اقتنائه فان حسناته كثيرة ولا يجوز أن يزهد في عقد من اللؤلؤ اذا كان فيه بعض الخرز . والصيرفيُّ الحاذق ينقد الدينار الخالص من الستوق الزائف . ونثني على طابعه اجمل ثناء

سياحة في القطر المصري — هو كتاب في نحو ١٥٠ صفحة فيه مباحث اجتماعية وتاريخية عن البحيرة والشرقية والفيوم وأسيوط وغيرها ومباحث عمومية عن العربان والامن العام وغير ذلك مما له علاقة بحياة هذه المديريات المهمة من القطر المصري ساح فيها عوض افندي واصف صاحب مجلة المحيط ورئيس تحرير جريدة مصر وتكلم عن شؤونها بما دله عليه اختباره وفضله وقد نشرها أولاً في مصر ثم جعلها ملحقاً لمجلة المحيط وأرسلها لمشتركيه في العام الماضي وهي تطلب من مؤلفها وفيها من الفوائد ما يرغب فيه كل مصري أديب فنحث على اقتنائها ونشكر لرصيفنا عنايته وهديته

سير العلم

لغة الاسبرانتو — انتشرت هذه اللغة التي ألفها الدكتور زامنهوف الروسي انتشاراً عظيماً في العهد الاخير وأقبل الاوربيون على تعلمها لسهولة مأخذها وسينعقد مؤتمرها هذه السنة في كمبردج فتقيم له كلية هذه المدينة احتفالاً بديعاً وقد أنشئت جمعية من علماء الحقوق ممن تعلموا اللغة الجديدة. وممن ينتصر لهذه اللغة وتلقنها ملكة اسبانيا وملكة نروج التي تعلم هذه اللغة

للبرنس أولاف الصغير . والمظنون ان الدكتور زامنهوف سينال في العام المقبل جائزة نوبل جزاء خدمته الانسانية بهذا الاختراع المفيد للام

اكل الاثمار — ألف المسيو جبرائيل فيو الفرنسوي كتاباً دعاه « لنغرس الاشجار ولنا كل الاثمار » ومما جاء فيه ان مئتين أو ثلثمائة متر مربع تنبت البقول اللازمة لأسرة فيبلغ متوسط غلة الهكتار (عشرة آلاف متر مربع) من الهليون والخرشف (ارضي شوكي) ١٢٠٠ فرنك ومن الملفوف ١٠٠٠ فرنك ومن الجزر ٧٠٠ فرنك ومن البطاطا ٥٠٠ فرنك ومن السلجم (اللفت) ٤٠٠ فرنك ومن الحنطة ٣٨٠ فرنكاً . واذا توفر العامل على زراعة حديقته خضراً وبقولاً تكون لأسرته مورد رفاهية ويسار وتنبه فيه الرغبة في الاقتصاد وتجود بذلك صحته . قال اذا غرست مئة شجرة مثمرة في هكتار من الارض تغل اكثر من الحنطة والبطاطا والشمندر بمعنى انه يأتي بمورد لا يقل معدله عن الف فرنك . وأوصى بغرس الاشجار المثمرة وجعل عشرة أو خمسة عشر متراً بين كل شجرة حتى لا يكون اشتباكها والتصاقها داعياً الى عدم الانتفاع من غلة الارض فتزرع أنواع المحاصيل والغلات . ثم استطرد المؤلف ونصح للناس ان يغتذوا بالاثمار خاصة قائلاً ان الامراض الشائعة في عصرنا هي مسببة من الافراط في تناول اللحوم ومما في عضلاتها من الزلال على حين ان قضم الاثمار يفيد الصحة اكثر من ذلك . وقال ان ضعف المجموع العصبي (نوراستينيا) يشفى بتناول الاثمار وعدد امراضاً ينتفع المصابون بها من تناول الفاكهة وأتى بادلة مقنعة وبراهين علمية لتأييد مدعاه

ابنايات العائمة — وُفق أحد مهندسي كليفورنيا الى اكتشاف طريقة لاقامة منائر في البحر وحصون وبنايات في مداخل المرافيء في عرض البحر تطفو على الماء وكل ما يبنى بحسب اشارته من هذه المباني يقاوم فعل جميع التقلبات التي تحدث على وجه الماء في البحر المحيط . والظاهر لاول نظر ان ما ادعاه المهندس المشار اليه يعد من المستحيل بلوغه ويناقض ما جرى عليه العمل في اقامة الابراج والمنائر والابنية في وسط البحر حتى الآن . فانه توصل الى اقامة هذه الابنية في عمق من المياه لا يتحرك باهتزاز سطح الماء والاساس اذا كان بعيداً عن الماء الذي يهتز بالامواج دام اكثر وقاوم فعل المياه . وهذا الاختراع سيفيد التجارة البحرية والدفاع عن الموانى والشواطيء فائدة كلية . فان قليلاً من الموانى يتمكن فيها البناؤون من وضع الاوتاد التي تغرز ليقام البناء عليها في الماء وبهذا الاختراع يمكن بناء أرصفة عائمة فتفرغ عليها السفن شحنها بدون عائق وهذه الارصفة تعلو وتسفل بحسب حالة المد والجزر في البحر . وبهذا الاختراع يمكن تشييد منائر في الماء الكثير التلاطم الذي لم يكن يتيسر من قبل ان يبنى فيه كما تشيد أماكن بعيدة عن الساحل لتأمن السفن من اخطار الشواطيء

اللبيس المسموم — ثبت ان في بعض الحلويات سماً يضر بعض الضرر احياناً ونسب ذلك بعض الباحثين الى ما يحشى به من الزبدة والبيض ثم قرّ الرأي ان في البيض سماً زعافاً احياناً لفساده وان كان جديداً وان احسن واسطة في اتقاء خطر البيض ان ينظر الطاهي أو ربة البيت اليه عند وضعه في الحلويات وغيرها ليرى فيما اذا كان سليماً أو فاسداً

تعقيم اللبن — بحث كثير من علماء الكيمياء والحياة بالمانيا في الايام الاخيرة فيما اذا كان اللبن (الحليب) المغلي أنفع من غير المغلي وبعد المرادّات الطويلة تبين ان اللبن المغلي للاطفال انفع ولكنه اذا أُغلي كثيراً تفقد خاصية من خواصه الكيماوية والحيوية . وبحث علماء من الاميركان في تعقيم اللبن بدون واسطة الحرارة فرأوا ان يضاف اليه كمية قليلة من محلول ممزوج باكبر مقدار من الاكسيجين ومادة أخرى لا تغير لونه ولا طعمه أصلها من مادة حيوانية . وبالجملة فان المسألة ما برحت موضوعة على بساط البحث بين العلماء هذا يقول بغلي اللبن وذاك يرى تناوله بارداً وغيره يرى ان يعدل عن تعقيمه بمزجه ببعض المواد كما تقدم

نبات ضار — اذا لم يكن في النباتات مادة سامة لا تضر في العادة اذا لم يكن فيها نفع . ولبعض النباتات خاصية الضرر كالنبات الذي يكثر في أميركا الجنوبية فيأتي باضرار بليغة للحيوان والانسان وهو من جنس « الستيبا » فتجد في غلاف الزهرة الاسفل من مجموع ما تتألف منه سنابله زُغَبْراً فيه حرير يتلوى على نفسه فاذا ثارت الريح تحمل براعم هذا النبات فتعلق بشعر الانسان ولحيته وتتلوى فتدخل الجلد فاذا حاول المرء قلعها تنكسر وتزيد في الانغراز . ويمكن الانسان ان يتخلص منها أما الحيوان فانه اذا أصابت عينه تقلعها فتعميها فلا يتيسر له ان يتناول غذاءه فاذا كانت تلك الحيوانات وحدها مطلقة يكون قلع عينيها سبباً في هلاكها وعدم قدرتها على الاقتيات ثم ان براعم هذا النبات تلصق في جلد الخرفان فتحدث فيها تقرصاً مؤلماً كما تدخل في فم الحيوان آكلة النبات وتجعلها كمغرز الابر .

وقد حاول العلماء ايجاد واسطة لاتقاء هذه الآفة فلم يفلحوا و« الستيبا » ما زال يكثر

الفلسفة الحديثة — ألف احد علماء الالمان كتاباً في تاريخ الفلسفة الحديثة وهو يترجم الآن الى اكثر اللغات الاوربية شأن كل كتاب نافع يصدر باحدى لغاتها فلا يلبث ان يترجم في الشهر الذي يصدر فيه وربما صدرت الترجمة والاصل في ساعة واحدة من المطبعة . وقد أتى بالبراهين السديدة عند كلامه عن فلاسفة القرن التاسع عشر فانتقد « كانت » واضع الفلسفة الحديثة احسن انتقاد ثم أنحى على الفيلسوفين «فيختي» و«هيكل» الالمانيين وسماهما بخارقي قوانين الفلسفة وأصولها وأضاف اليهما الفلاسفة شيلرماشير، وشوبنهاور ، وهربارت ، من فلاسفة الالمان لانه لا نظام في آرائهم وهم يتكلمون كلام المغتاظ الحانق وقال ان الفلسفة الحسية تبدأ من أغست كونت الفرنسوي كما تبدأ الفلسفة الانكليزية من ستوارت ميل وداروميز وسبنسر فان هؤلاء أتوا الغرب بافكار وعواطف يسير عليها اليوم ويعيش في ظلها

الحلقة المفقودة — اكتشفت سنة ١٨٩١ في ترنيل من اعمال جاوة بعض عظام تحت التراب تشبه عظام القرد (جيبون) والانسان واستبشر العلماء عندئذ بانهم كادوا يظفرون بالحلقة المفقودة بين الانسان والقرد كما هو مذهب كبار علماء الطبيعة امثال داروين ووالاس وهاكل وغيرهم ثم أجلى البحث عن لا شيء . وقد فرح العلماء الآن بما وفق الى اكتشافه

الاستاذ كلاتش أثناء بحثه في شمالي أوستراليا من اكتشاف ينفع علم الانسان (انتروبولوجيا) . فقد اذاع انه صادف في بور داروين على الشاطئ في بقعة قلما ينزل اليها السائحون ولم يدخلها التمدن الحاضر — امرأة تعيش في البلاد على حالة التوحش من الفطرة الاصلية وتشبه باوصافها القرود التي تشبه الانسان (انتروبويد) ورجلاها مثل ارجل الزنوج تتسلق بهما الاشجار بمثل السرعة التي تتسلق بها القرود . وهذه أول مرة شوهد فيها مخلوق بشري على هذه الصفة . ويزعم الاستاذ المشار اليه ان هذه المرأة مرتقية من القِرَدة وان اجدادها كانوا قروداً ولا شك . فاذا ثبت له مازعم فيكون الدروينيون عثروا على الحلقة المفقودة التي ينشدونها منذ أزمان

التلفون في السكك الحديدية — أخذ في استعمال الادوات التلفونية في قطارات الخطوط الحديدية الرئيسة في الولايات المتحدة فتتأتى المخابرة بعد الآن بين المركبات والقاطرة على اختلاف انواعها كما تتيسر مخاطبة المحطات وتنفع هذه التلفونات في اتقاء الاخطار التي تعرض للقطارات في طريقها . وتستعمل اسلاك هذه التلفونات في ارسال الرسائل البرقية ولا يحدث من ذلك التباس

الالكحول من الشجر — اكتشف في أوستراليا الغربية ضرب جديد من الالكول يأتي من شجر غض كبير تحتوي اليافه على خمسة في العشرة من الالكحول وكان هذا الشجر معروفاً منذ القديم بين النازحين الى تلك القارة والمبعدين اليها فقد كانوا يستخرجون منه سائلاً يقوم مقام الجعة (البيرا)

السكسون واللاتين

ألف احد علماء الاجتماع في ايطاليا كتاباً في العنصرين الانكليزي السكسوني واللاتيني أبان فيه أهم اسباب ارتقاء الشعوب وبحث بحثاً مدققاً مؤيداً بالحجة في أسباب سر تقدم الامم وانحطاطها وهو يرى انه ليس هناك عناصر بل أمم يؤيد ذلك لا من طريق علم الاجتماع بل من طريق علم الانسان وقال انه ليس في العالم الآن أمم مكونة من جنس واحد بل هي نتيجة الامتزاج الحقيقي وأخلاط من عناصر مختلفة . فكما ان الجنس أو العنصر يشتهر وينتظم بما له من الصفات التشريحية المعروفة فيه فكذلك تعرف الامة بمجاميع الاخلاق النفسية والمظاهر الاجتماعية . وما سر تقدم أمة الا آتٍ من أحوال اقتصادية أو غيرها تطرأ عليها فتنهضها الى أعلى عليين أو تسقطها الى أسفل سافلين . فلو حازت أمة تقدماً على غيرها كما يتوهمه بعض علماء الاجتماع لما رأيناها الا باقية أبداً في أعلى قمم المجد . بيد ان التاريخ لم يذكر بان أمة حالفها النصر والنجاح والتقدم في جميع أدوار حياتها السياسية والاقتصادية . وبينا كان ديمولين صاحب سر تقدم الانكليز السكسونيين ينشر كتابه كان العاقل يلاحظ ان الامة الانكليزية التي تمجد بها وأذل أمته لرفعة شأنها قد ظهرت فيها بعض اغراض الضعف . وعلى هذا فان من الازمان ما يواتي أمة ان ترقى رقياً عاماً في مهد الحضارة اذ تكون فيها القوى التي تلائم ذلك الرقي . ولذا ترى في الامم علواً وانخفاضاً وسقوطاً وارتفاعاً

وأغرب ما في هذا الكتاب فصل قارن فيه المؤلف بين ارتقاء المانيا وارتقاء ايطاليا وهما الامتان اللتان نالت كل منهما وحدتها في زمن متقارب فانه رأى ان الناس يبالغون بما بلغته المانيا في سلم الارتقاء الاقتصادي وانها تفوق ايطاليا بمراحل في هذا السبيل فقال ان في المانيا ٥٧ مليون ساكن وثروتها نحو ١٥٠ ملياراً من الفرنكات أما ايطاليا فثروتها ٦٥ ملياراً وسكانها ٣٢ مليوناً فمعدل ثروة الفرد في المانيا ٢٦٢٢ فرنكاً وفي ايطاليا ٢٠٣٠ فرنكات أما من حيث عظمة ايطاليا في الامور العلمية فان كل من ينظر اليها نظر المجرد عن الغرض يرى فيما يشاهده من أعمالها العلمية والادبية بانها آخذة في المسير نحو دور جديد من العظمة والمجد

نفاضة الجراب

فجائع البائسين

هذه روايةٌ وطنيةٌ اخلاقيةٌ واقعيةٌ تمثل للقاريء ما تئن منه هيئتنا الاجتماعية من البؤس وما يتخلل نظام بيوتنا من الخلل تشبه في بعض مضامينها رواية البؤساء لأُستاذ الفصاحة والادب حافظ افندي ابراهيم وان كان بين الروايتين فرق في الاسلوب وكيفية الأداء ولا عجب اذا تم للمتقدم ما لم يتم للمتأخر فان حافظاً هو بلا مراء مالك زمام البيان والتبيان . ولعل المغرمين بالروايات والعالمين بنسج الاقاصيص والحكايات يؤآخذونني على الاقتضاب في الفصول الغرامية فيعدُّونه نقصاً في الاسلوب فأنا أستميحهم عذراً على ذلك اذ قضى عليَّ وضع الرواية وسلسلة حوادثها بأن أقتصر على ما اقتصرت والله المستعان دمشق : شكري العسلي

١

في ليل الاربعاء السابع والعشرين من شهر شباط (فبراير) هطلت الامطار وهبت العواصف واشتد البرد فاستحال المطر ثلجاً وابيضت الدنيا فصارت كالعهن المنفوش واخذت خديجة تشعر بألم الوضع نحو الساعة الخامسة بعد الغروب فايقظت زوجها احمد وأخبرته بما ألمّ بها من ألم المخاض فهبّ من ساعتهِ ليأتي بالداية وأحب ان يستصحب معهُ مصباحاً يستصبح بهِ في ظلام الليل الدامس ولما كانت داره خالية من كل شيء راح يطلب الى خادم جاره وكان هذا من الاغنياء ان يعيره فناراً أو مصباحاً فطرق الباب عليهِ وكان الخادم مهتماً باحضار سفرة الحلويات والفاكهة ليتناول

منها ضيوف سيده فخجل احمد وخشي ان يظن التوم انهُ أتى مدفوعاً بما انبعث من رائحة الطعام ولكن صاحب المنزل كان كريم الطبع محباً للضيوف فتبسم له ورحب بهِ واستثقل بعض الحضور مجيئه في تلك الساعة فهمس احمد في أذن صديقهِ الخادم قائلاً له : هل لك ان تعيرني مصباحاً أستنير بهِ في طريقي لاني ذاهب لاحضر الداية لامرأتي فقد أخذها المخاض .فسأل صاحب الدار خادمهُ عن سر مجيء احمد فاجابه الخادم انهُ يريد ان يستعير منا مصباحاً وأعلمه بالسبب فامره مولاه بان يلبي طلبه فاخذ صاحبنا المصباح وذهب مهرولاً الى الداية فلما قرع بابها سألته عن المُقرب فاجابها بانها امرأته واذ أيقنت انه لا ينالها الا التعب والبرد ونسيت ما ستناله من الاجر والشكر وما يترتب على عملها من خدمة الانسانية لم يسعها الا ان تظهر أسفها واعتذرت بمرض اعتراها منذ أسبوع فدلت على أنها عارية من عواطف الرحمة مجردة عن الانسانية التي كانت توجب عليها ان تسعى الى تخليص تلك البائسة من خطر الموت ومن يدري كم من النساء اللواتي ذهبن لجهلها وعدم اعتنائها بقواعد الصحة . وكم سمعنا ورأينا من النساء اللواتي فارقن الدنيا بسبب الوضع لجهل القابلات وقلة عنايتهن

انفصل صاحبنا عن باب الداية وعينه تقذف قطرات الحنو الزوجي ممزوجاً بحسرة البؤس البادي على صفحات خديه وذهب الى قابلة أخرى فسألته عن الاجرة فاخبرها بما في مكنتهِ ان ينقدها اياه من الدراهم فامتنعت واعتذرت ثم قالت انها لا تخرج من منزلها العامر الا باجرة وافرة فاخذه البكاء وذهب الى عجوزة عرفت بعمل الخير لها خبرة بالتوليد فاستنهض همتها واخبرها بما جرى له مع تينك القابلتين فأسفت لحالهِ ولعنتهما ولعنت الزمان الذي قل عمل الخير فيه وأخذتها الحمية والحماسة الشرقية فذهبت معهُ على الفور وأجلست خديجة على الكرسي وأخذت تعالجها وتحمسها وتقرأ لها ما تيسر من القرآن وتتوسل بالادعية على عادة العجائز التقيات . فلما حانت الساعة السابعة بعد منتصف الليل وضعت خديجة غلاماً سُر به ابواه وسمياه سعيداً تفاؤلاً بان ينالهما السعد بهذا وقرأا الفاتحة على هذه النية ومن العادات التي لا خلاص منها اكرام القابلة

بضروب الحلواء والفاكهة ولم يكن عند صاحبنا درهم واحد ليقوم بهذه العادة فرهن قدراً له وأتى ببعض المآكل قدمها للقابلة وانصرفت واعدة اياه بالمجيء كل يوم لتتم احسانها

٢

أخذ سعيد ينمو يوماً فيوماً وغدا سلوى أبويه في بؤسهما ومحط آمالهما وكانت مياومة أبيه لا تقوم بنفقة عياله فحسن لديه أن يُستخدم في كتائب الدرك لينال ثلثمائة قرش مشاهرة فقدم طلبهُ والتمس تعيينه وساعده على ذلك بعض اهل الخير فعين نفراً وظن أن ما تم له من الخير ناله بيمن طالع سعيد ابنه فأمل فيه خيراً وزادت محبتهُ له وكان احمد حسن المنزع مهذب الاخلاق عُرف بالامانة فاتخذه زعيم الدرك علي باشا وكيلاً على منزله وأحله منه محل الثقة وطفق يحسن اليه والى سعيد ابنهِ وكان قد بلغ السادسة من عمره فظهرت عليه أمارات النباهة وحدة الذهن . وكان للقائد المشار اليه ابنة وحيدة اسمها جميلة هي في السادسة من عمرها كسعيد وقد كان اجتماع سعيد بها في منزل واحد واشتراكهما في العمر سبباً في ارتباطهما برابطة الاخاء المتينة وألف كل منهما أخاه حتى صارا كأخ وأختهِ لا يطيقان افتراقاً

وفي غضون ذلك أدخل الباشا سعيداً الى المكتب الابتدائي فلما بلغ الثانية عشرة من عمره أتم الدراسة الابتدائية وثبتت لدى الباشا كفاءتهُ فأدخله المكتب الاعدادي الملكي بدمشق داخلياً بلا أجرة فجدّ في دروسه حتى تقدم في صفّه واصبح الاول فيه وهو يختلف الى منزل الباشا في اغلب الاحيان وكلما دخل المنزل يشعر بميل لرؤية جميلة ويشتاق اليها كلما غاب عنها فأدرك أن لها مكاناً من قلبه علياً وخُيل له ان يتزوج بها ولكن كان يمنعهُ عن هذا التصور ما بين أبيه وأبيها من تفاوت الطبقة عالماً أن الناس لا يزالون مغرمين بالظواهر وأن الصفة المطلوبة بل الضالة المنشودة في الزوجية هي المال والجاه وندر من اهتم بمكارم الاخلاق والتربية الصحيحة ولذلك أيقن انه لا ينال ما تطمح اليه نفسهُ الا اذا نال جاهاً ومقاماً عظيماً وكان كلما اجتمع بها يرى منها

أمارات الحب والميل اليه ولم يجسر أحدهما ان يبوح لصاحبه بما تكنه الصدور

٣

ألا ان خير الودّ ودٌّ تطوعت به النفس لا ودّ أتى وهو متعب

حدث ذات يوم أن كانت دار الباشا خاليةً فعزم سعيد على اظهار ما في فؤاده من دواعي الهوى وراح يختلس الفرص ويحادث جميلة ويأخذ معها في اهداب الكلام حتى ساقها ذلك الى ذكر ايام صباهما ثم تحين المناسبة وقال لها : أيخطر على بالك يا تُرى ما كان بيننا مستجكماً من علائق الحب والوداد أيام كنا احداثاً ؟ ألا تذكرين ذلك العهد الذي كان بهجة الايام والليالي ورياض الازمنة فكأن الشاعر نظر اليه حين قال :

شهور قد قُضين وما علمنا بأنصافٍ لهن ولا سِرار

— ألستِ تحبني الآن ؟

— كيف لا أحبك ! ولكني لا أعلم ان كنت باقيةً على العهد في الحب او زال أثره من نفسك ذهاب أمس الدابر فان الايام تقلب القلوب

— سلْ قلبك ينبئك عما في ضميري لك

— قلبي يحدثني بمحبتك ولكن لست ادري . . .

وعندها ساد السكوت وانقطعت سلسلة الحديث فلم يتجاسر احدهما على الاعتراف بأكثر مما اعترف والموقف حرج . فغير سعيد الموضوع خوفاً من لومها وعتابها وأخذا يبحثان عن المكتب فصار يمدح مستقبله ويشرح آماله ويتعلل بأنهُ سيكون منه رجل عظيم يحرز الرتب العالية والرواتب الوافرة اذا ساعده القدر ولم يخنهُ الحظ

وهنا تم الحديث وانقضت جلستهما التي يصح أن تسمى الاولى وهي الاولى

في شرح الغرام فودع سعيد حبيبتهُ وأليفة صباه وذهب الى مدرستهِ وآمالهُ تسبح به في سماء الخيال وقد أيقن انها شريكتهُ في الحب فارتسمت صورتها أمام عينيهِ في درسهِ وعند ما يخلو بنفسه وكان يذهب في تأويل كلماتها مذاهب شأن من رأى بصيص نور السعادة وكان منها محروماً او تجلت له أمارات الغنى وكان من قبل معدماً

« سل قلبك ينبئك عما في ضميري لك » جملة فاهت بها جميلة فأخذ أليف صباها يقيم العلالي والقصور من الاحلام ويتفنن في تفسير مضمونها على أوجه وبعد أن تل ما في كنانة علمهِ من فهم المعاني الدقيقة قال يخاطب نفسه : أسألك يا قلب الا ما أطلعتني على ما تحوتهُ ضلوعها ؟ فان كان وداً خالياً من الغرام فلست ارضاه اذ لا يجديني نفعاً . ثم راجع نفسهُ فقال ان قلبي يحدثني بأن عندهامني ماعندي منها وان سكوتها يدل على ذلك والسكوت في معرض الحاجة اقرار

ثم ما لبث أن سخر من نفسه وقال : واذ لم تعترف لي بما في فؤادها كيف يسوغ لي أن أحكم بحبها لي على الوجهِ الذي ترمي اليه آمالي ؟ . وأنشأ يفكر فيما يوصله الى معرفة كنهِ امرها من ناحيته فرأى أن يسطر لها كتاباً يستطلعها بهطلع افكارها فبعث اليها بالكتاب التالي :

« سيدتي — ساقني الجرأة ان أكتب اليك بهذا الكتاب وأنا اخشى ان لا ينال منك قبولاً ولا يكون سبيلاً الى غضبك الذي أعدّه من قواصم الظهور . واني لأود أن يقيم لي عذراً مقبولاً بما يمت به اليك من بيان ما تجنهُ اضالعي لك من الحب الطاهر . فان قولك يوم اجتمعنا « ان ما في قلبي لك ينبئني بما في فؤادك » قولٌ خليق بالنظر فقد فتشت في سويدائهِ وحناياه فلم أجد فيه لك غير الحب الاكيد مما يدعوني الى تعليق الآمال بما هو اقصى مناي من دنياي وأعني به ان تكوني شريكة حياتي تشاطريني فيها الافراح والاتراح . واني أتقدم اليك اذا رأيت

في رسالتي هذه فجة وجرأة أن تطويها عاذرةً والكريم عاذر واذا وقع كلامي منك موقعاً حسناً فلا تلومي مفاتحتي لك بما في قلبي واعف عني وقني سورة سخطك واكتمي الامر عن الشمس والقمر والسلام عليكِ . . »

ثم طوى الكتاب ووضعه في غلاف وذهب الى منزل الباشا وطلب ان يقابل الخانم الكبيرة ليقبل يديها ويقوم بما اعتاد من تقديم واجباته لها فدعتهُ اليها وسلمت عليه ودعت له بالتوفيق . فاختلس فرصةً في تلك الساعة وألقى الكتاب بيد جميلة فتناولته مرتعشةً وقد احمرّ وجهها ثم اقام هناك هنيهةً وانصرف الى مدرسته

ذهب سعيد فدخلت جميلة غرفتها وأغلقت الباب وأرخت ستور النوافذ وسدت المنافذ والشقوق بحيث لا يراها احد وجلست على كرسي ووجهت وجهها نحو الجدار وأخذت تقرأ الكتاب فاحمر وجهها خجلاً وعلمت انهُ وقع في شراك هواها فارادت ان تتماسك ولا تريه انحلالاً في الاخلاص لعلمها ان بعض الرجال يكرهون زوّاج من يحن بسرائرهن في الهوى . فبعثت اليه كتاباً تعنيه به على جرأته وما وقع له من الالماع اليه على أسلة لسانه وبنانه . ولما تلا كتابها أخذ اليأس والخجل يقيمه ويقعده فهجر منزل الباشا زمناً حتى صار اهل بيته يسألون عنه ووقعت جميلة في شر اعمالها وندمت على ما فرط منها من عتابه المرّ الجافي على جرأته الغريبه وأيقنت ان الخوف اقصاه عن غشيان منزل أبيها فكتبت اليه بما يأتي :

« عزيزي : أراك هجرتنا هجراً طويلاً وما عودتنا من قبل ذلك فان كان هذا تناسياً فهو ينافي أملنا فيك وان كان خجلاً من عتابنا فعلك مردود عليك. فتعال اذاً يوم الثلثاء اذ يخلو لنا الدار بتغيب أمي وأبي لابوح لك بذات نفسي ولك مني الف سلام »

ثم طوت الكتاب وبعثت به مع خادمتها الامينة الى المكتب فلما تناوله سعيد كاد يطير فرحاً وأخذ يغوص في بحور الخيال ويسبح في فضاء الاماني الى ان اقبل اليوم المضروب للاجتماع فحنال على مدير المكتب ونال منه رخصة بالخروج ذلك

اليوم فخرج مهرولاً نحو منزل حبيبته . فلما دخل عليها سلم سلام المتلثم وهو لا يدري ما يقول فاحسنت استقباله بوجه يفتر سروراً ويطفح بشراً واخذت تلاطفه بالكلام وتقول كيف يخطر لك ان أسطر في الورق ما يخالج قلبي لك من الحب وليت شعري ماذا يكون حالنا لو وقع الكتاب في يد من يأتي به أبي ومن يشفع فينا عندئذ ؟ : فسكن روع سعيد وما جاش به من الجأش وعلم علم اليقين انها لم تجسر على مفاتحته فقال لها :

الآن حصحص الحق وعلمت مكانتي منك فهل تتنازلين لقبولي رفيقاً لك في حياتك غير ناظرة الى فقري وقلة جاهي وتكتفين بمكارم أخلاقي وآدابي وتعتمدين صدقي وفرط ودي وتتقين بان حياتي ستكون وقفاً على ما فيه رضاك

فقالت انت تعلم ان امر زواجي ليس بيدي ولو خيرت لما اخترت سواك : على اني أستطيع رد كل من يطلبني غيرك وأنا عالمة بشدة بأس ابي فكن في أمان من اني سأبذل الوسع لاظل عانساً ريثما تنجز حتى دراستك ولعلك تنال مقاماً يبلغك أمانيك فأعطيك هذا الوعد وسأثبت عليه متى كلفني من العذاب والهوان

— أنا أعلم منزلتي وان لا سبيل الى طلبك ولكن ما يخالج قلبي من الامافي يدفعني الى القول باني بعد ما أتم دروسي التجهيزية سأذهب الى الاستانة وادخل في احدى المدارس الكبرى فانال عند خروجي منها بعد نيل الشهادة منصباً يهيئ لي مستقبلاً جميلاً اكون جديراً بك ويسوغ لي طلبك من أبيك

— نعم ما قلت وفكرت فليس لك عندي سوى النصيحة ان لا تتأخر عن الجد في التعليم لئلا تعد ملوماً محروماً واسع جهدك ولا ريب عندي انك ستحرز مقاماً يليق بنفاذ بصرك وبصيرتك ومكارم أخلاقك وسمو آدابك واياك ان تتقلب الايام فتفسى ما قر عليه قرارنا الآن وأوصيك بالثبات على الوعد ولو بُليت بانواع العذاب

وهنا أقسم لها بكل محرجة من الايمان وتحالفا على ان لا يخلا بالوعد وتفارقا على اللقاء ولو بعد حين

البقية تأتي